وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي مغنية
University Centre of Maghnia

EISSN : 2710-8643

ISSN : 2602-7585

إحالات
IHALAT

مجلة أكاديمية دولية نصف سنوية مُحكّمة

المجلد 06 - العدد 02 - جوان 2024

المركز الجامعي مغنية

معهد الآداب واللغات

ISSN: 2602 – 7585

EISSN: 2710 – 8643

الإيداع القانوني: جوان 2024

مجلّة إحالات

مجلّة أكاديميّة دوليّة نصف سنويّة مُحكَّمة

تصدر عن معهد الآداب واللّغات بالمركز الجامعي مغنيَّة بالجزائر

تُعنى بنشر الدّراسات اللّغوية والأدبيّة والنّقدية

باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة

المجلد 06 – العدد 02

جوان 2024

تُرسَل المقالات عبر حساب المجلّة في المنصّة الجزائريّة للمجلّات العلميّة:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/587

تُوجَّه المُراسَلات إلى رئيس التّحرير عبر بريد المجلّة:

adabmajala18@yahoo.com

المدير الشّرفي للمجلّة

أ. د. مراد نعوم

مدير المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

مدير المجلّة

د. فاطمة الزّهراء النباتي

مديرة معهد الآداب واللّغات – المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

رئيس التّحرير

د. سمير زياني

المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

فريق التّحرير

أ. د. عبد الحقّ فواز	الجامعة الهاشميّة – الزّرقاء – الأردن	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الحقّ بلعابد	جامعة قطر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عماد غنوم	الجامعة اللّبنانية – لبنان	مساعد مُحرِّر
أ. د. نادر إدلبي	جامعة كوجه ألي – تركيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. سالمة العمامي	جامعة طبرق – ليبيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. عواطف عبد المنعم	جامعة إفريقيا العالميّة – الخرطوم – السّودان	مساعد مُحرِّر
أ. د. ولد اباه أحمد سالم	جامعة العلوم الإسلامية– موريتانيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. مُحَمَّد شوقي الزّين	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. مختار زواوي	جامعة سيدي بلعباس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عزّ الدّين جلاوجي	جامعة برج بوعريريج – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. حاج أحمد الصّديق	جامعة أدرار – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. سعيد تومي	جامعة البليدة 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. مُحَمَّد خاين	جامعة غليزان – الجزائر	مساعد مُحرِّر

أ. د. نادية بوشفرة	جامعة مستغانم – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر شريف حسني	جامعة تيارت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر رحماني	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. جمال حضري	جامعة المسيلة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. أحلام بن الشّيخ	جامعة ورقلة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د سيدي محمد بن مالك	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الرّحمن بغداد	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. فاطمة صغير	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. فتيحة بلحاجي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. مجدي الأحمدي	جامعة تبوك – السّعودية	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد صالح حمراوي	المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة – تونس	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد بكاي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. نصيرة شيادي	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الرّزاق علّا	جامعة عين تموشنت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. غزلان هاشمي	جامعة سوق أهراس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. سهيلة مريبعي	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. حسية ساكر	جامعة تبسة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. فؤاد بن معمر	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. بلمختار عز الدين	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. نسرين سحنون	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الصّمد عزوزي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	سكرتير التّحرير

فريق المُراجِعين لهذا العدد

أ. د. براهيم عبد النور [جامعة بشار – الجزائر]	أ. د. عبد القادر بوشيبة [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
أ. د. هاجر مدقن [جامعة ورقلة – الجزائر]	أ. د. فاطمة صغير [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
أ. د. وهيبة وهيب [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	أ. د. سليمة مسعودي [جامعة باتنة – الجزائر]
أ. د. النذير بولمعالي [جامعة المدية – الجزائر]	أ. د. فطيمة براهيمي [جامعة بلعباس – الجزائر]
أ. د. فتيحة بلحاجي [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. أحمد سالم ولد اباه [جامعة العيون – موريتانيا]
د. محمد الرقيبات [جامعة جرش – الأردن]	د. حسيبة ساكر [جامعة تبسة – الجزائر]
د. لطفي عبد الكريم [جامعة تلمسان– الجزائر]	د. سميرة جداين [جامعة تلمسان – الجزائر]
د. عبد الله بن زهية [المركز الجامعي تيبازة – الجزائر]	د. يحي سعدوني [جامعة البويرة– الجزائر]
د. سليم سعدلي [جامعة برج بوعريريج– الجزائر]	د. طيب بوقرط [جامعة مستغانم– الجزائر]
د. أسماء بلهبري [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	

قواعد النّشر في المجلّة

تُرحِّب مجلّة **"إحالات"** بنشر البحوث الأكاديمية الرّصينة في اللّغة والأدب والنّقد، باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة، مع الالتزام بقواعد النّشر الآتية:

1. ألّا يكون البحث قد سبق نشره، أو قُدِّم للنشر في مجلّة أو أيّ شكل من أشكال النّشر الأخرى.
2. ألّا يتجاوز عدد صفحات البحث 30 صفحة.
3. أن يُرفَق البحث المكتوب باللّغة العربية بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغتيْن العربيّة والإنجليزيّة. وأن يُرفَق البحث المكتوب بإحدى اللّغات الأجنبية (الإنجليزيّة أو الفرنسيّة أو الإسبانيّة) بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغة الإنجليزيّة.
4. أن يُكتَب البحث باللّغة العربيّة بخطّ Sakkal Majalla قياس 16 في المتن و12 في الهامش، والبحث باللّغتيْن الإنجليزيّة والفرنسيّة بخطّ Times new roman قياس 12 في المتن و10 في الهامش.
5. أن تُفرَد للأشكال والجداول والصّور والرّسومات صفحات خاصّة داخل البحث نفسه.
6. أن تُكتَب الهوامش في آخر البحث آليًا.
7. أن يُراعى في كتابة الهوامش ترتيبُ البيانات، كما يلي: اسم المُؤلّف ولقبه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة، ورقم الصّفحة.
8. أن يُختَتم البحث بقائمةٍ للمصادر والمراجع المعتمَدة.
9. أن يُراعى في كتابة قائمة المصادر والمراجع ترتيبُ البيانات، كما يلي: لقب المؤلِّف واسمه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة.
10. أن يلتزم المُؤلِّف بإجراء التّعديلات التي يطلبها المُراجِعون في أجل أقصاه (15) يومًا.
11. أن يلتزم المُؤلِّف بإدراج المراجع في المنصّة الجزائرية للمجلّات العلميّة وإمضاء التّعهُّد في أجل أقصاه (07) أيّام، وذلك بعد قبول المقال للنّشر.

فهرس

01	المصطلح القرآني عند الأمير عبد القادر الجزائري من خلال كتابه "المواقف في التّصوّف الوعظ والإرشاد"	واسيني بن عبد الله	09
02	المصطلح النَّقدي الشِّعري القديم بين أسامة بن منقذ وموسى بن عزرا: دراسة مقارنة تقابليَّة في الاستعارة والتصدير أنموذجًا	إبراهيم أبو حمّاد	19
03	الأمكنة الأعلام في الشعر العربي القديم بين إعادة الصياغة ين إعادة الصياغة واستبطان المعنى	عمارة الجدّاري	30
04	استخدامات الرَّمز ومساءَلة المعنى بحثًا عن تمثُّل رؤيا شعريَّة مُختلفة ؛ديوان (حلاج النّهايات للشَّاعر "عبد الحاكم بلحيا ") أنموذجا	توتاي سيف الله هشام	44
05	جماليات الخطاب الفني في رواية "اللاز" للطاهر وطار -مقاربة جمالية في المنظور السردي-	فتحي بوخالفة	54
06	المحكي التاريخي في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" لإبراهيم الكوني	سنوسي شريّط	75
07	مركزيّة المشكلة البحثيّة وأهمّيتها في صناعة المعرفة	بلقنيشي علي	87
08	نجاح البحث الأكاديمي بين اختيار الموضوع ودقة الإشكالية	خلف الله بن علي	97

افتتاحيّة العدد

الحمد لله وليّ كلّ نعمة، يمنّ بالتّوفيق، ويُكرم بالعطايا، ويُجزي بالأفضال، والصّلاة والسّلام على من بعثه الخالق رحمة للعالمين وبعد، فها هي **"إحالات"** تعود إليكم في العدد الثّاني من المجلّد السّادس لشهر جوان 2024م بمائدة علميّة مميّزة، جادت بها أقلام الباحثين من جامعات الوطن وخارجه، وقد تضمّنت ثماني دراسات باللّغة العربيّة تنوّعت بين البحث في المصطلح، ومقاربة الشّعر، ودراسة الرّواية، والحديث عن البحث العلمي وهمومه، فقد وقفت الدّراسة الأولى على عتبة المصطلح القرآني مُبرزة تجلّياته في كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري، في حين اختارت الدّراسة الثّانية الغوص في المصطلح النّقدي الشّعري القديم من خلال دراسة تقابليّة بين أسامة بن منقذ وموسى بن عزرا، أما الدّراسة الثالثة فانصرفت إلى الحديث عن الأمكنة الأعلام في الشّعر العربي القديم، واهتمت الدّراسة الرّابعة بإبراز استخدامات الرّمز ومساءلة المعنى عند الشاعر عبد الحاكم بلحيا، كما نال السّرد حظّه من البحث في هذا العدد في الدّراستين الخامسة والسّادسة حيث ارتضى الباحث الأوّل الكشف عن جماليات الخطاب الفني في رواية اللاز للطّاهر وطار، وآثر الباحث الثاني الحديث عن المحكي التّاريخي عند إبراهيم الكوني، واتّفقت الدّراستان السّابعة والثّامنة على إيلاء الأهميّة الكبرى للبحث العلمي الأكاديمي ، والحرص على نجاحه، للدّور الّذي يؤديه في صناعة المعرفة.

ومن واجبنا في الأخير تهنئة الباحثين، وإسداء جميل الشّكر والعرفان للسّيدات والسّادة أعضاء فريق تحرير المجلّة، وفريق المراجعين على مساهماتهم الجليلة، وجهودهم الجبّارة في إخراج هذا العدد على الوجه الّذي سيرضي –بعون الله- قراءنا الأفاضل.

رئيس التّحرير

المصطلح القرآني عند الأمير عبد القادر الجزائري من خلال كتابه "المواقف في التصوف الوعظ والإرشاد".

Quranic term by Emir Abdul Qadir Al-Jazairi Through his book “Al Mawakif in Preaching and Guidance”

واسيني بن عبد الله

جامعة تلمسان (الجزائر)، oammine@yahoo.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024 / 03 / 14	2024 / 03 / 27	2024 / 06 / 01

ملخص البحث

يحاول هذا البحث دراسة المصطلح القرآني عند الأمير والشاعر والمتصوف الأمير عبد القادر الجزائري بن محيي الدين في كتابه "المواقف في التصوف الوعظ والإرشاد" والذي يعد معجما قرآنيا متكاملا.

ذكر الأمير فيه العديد من المصطلحات القرآنية في مجالات شتى؛ كالعبادات والقصص والسلوك ... وكانت جنبا على جنب مع المصطلحات الصوفية المبثوثة في متن هذا الكتاب العرفاني الصوفي الإشاري.

وكان الهدف من البحث هو استخراج بعض المصطلحات القرآنية التي تناولها الأمير عبد القادر في كتابه "المواقف".

الكلمات المفاتيح: المصطلح القرآني، التصوف ، المواقف ، الأمير عبد القادر.

Abstract

This work aims to study the Quranic Term to Emir, Poet ,and the Sufis Abdul Qadir Al-Jazairi in his book “Al Mawakif in Preaching and Guidance” which is considered a comprehensive Quranic dictionary.

He mentioned many Quranic Term in various fields; devotions, stories, behavior…It was in addition to the Sufi terminology present in the text of this mystical Sufi clue book.

The aim of the research was to clarify the Quranic Term that addressed Emir Abdul Qadir Al-Jazairi in his book Al-"the halts" .
keywords: Quranic term, Sufism, Al Mawakif, Emir Abdul Qadir.

1. مقدمة:

يُعدّ المصطلح أداة مهمة، يحتاجها الباحثون وطلاب الجامعات والمركز البحثية في استخدامها في متون البحثية، وأوراق مذكراتهم العلمية... وقد ظهر عدد كبير من المصطلحات في المجالات المختلفة ؛ وذلك وبالتطوّر المرتبط في كثير من المجالات الحياتية والبحثية والتكنولوجية في هذا العصر.

وينتمي المصطلح إلى مجال معرفي معين، أو علم خاص، ينتسب إليها، ويمثلها غاية التمثيل؛ فنجد مصطلحات علمية، وفيزيائية، وطبية، وهناك مصطلحات لغوية، ودينية، وبلاغية...

والمصطلح القرآني الذي يمثل أساس هذه الورقة البحثية؛ ودارت حوله الكثير من الجهود المتنوعة لدى العلماء في اختصاص العلوم الشرعية واللغوية وغيرهما، حيث قامت هذه الجهود بذكر أهميته وأصوله وعلاقاته بالبحوث الأخرى...

وقد اتبعت في هذا البحث خطة مناسبة لموضوعه، تمثلت في ما يلي:

مقدمة

1- التعريف بأهم مصطلحات ومفاهيم الورقة البحثية: وتتمثل في العناصر التالية:

1.1 القرآن الكريم.

2.1 المصطلح القرآني.

2. ترجمة مختصرة للأمير عبد القادر، ونظرة عامة حول كتاب المواقف:

1.2 ترجمة مختصرة للأمير عبد القادر

2.2. ونظرة عامة حول كتاب المواقف

3. نماذج من المصطلحات القرآنية في متن كتاب المواقف:

خاتمة. بينت فيها أهم النتائج المستخلصة من هذه الورقة البحثية إن شاء الله تعالى.

2. التعريف بأهم مصطلحات ومفاهيم الورقة البحثية

2. التعريف بأهم مصطلحات ومفاهيم الورقة البحثية:

إن معرفة المصطلحات من الأدواتِ الأساسية في دراسة أي علم أو فن، لأنها الأداة الأساس للولوج إليه والتي يستخدمها أصحابُ هذا العلم في التعبير عن قضاياهم وأفكارهم، وربما استغلقتْ على غيرهم، ولكن ضروريات البحث العلمي المتخصص ومقتضياته استوجبت نشوء هذه اللغة القائمة على العُرف الخاصِ والاتفاق والمواضعة بين أصحاب كل فنٍ أو علم في مجال تخصصهم[1].

فمعرفة المصطلحات كفيلة بإعطاء لمحة عامة عن العلم الموجودة في متنه، وكفيلة أيضا بإزالة إشكالاته البحثية،

وسأقوم بشرحها على النحو التالي:

1.2. القرآن الكريم:

يجدر بنا في البداية أن نعرف القرآن الكريم؛ لأنه الأصل في هذا الورقة البحثية.

ويمكن القول إن القرآن من حيث اللغة، اختلف اللغويون في أصله، على وجوه كثيرة؛ منها أنه مصدر مشتق من قرأ، يقال قرأ قراءة وقرآناً[2]. فهو مصدر مرادف للقراءة ويشير إليه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾ [3].

وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا، أو من قرأ بمعنى جمع، ومنه قرى الماء في الحوض إذا جمعه، ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن الكريم، وعلى كل آية من آياته[4]. فقد يطلق لفظ القرآن على جميعه وعى بعضه وقد تسمى الكتب القديمة قرآنا[5].

أما اصطلاحا، فللقرآن الكريم تعريفات كثيرة، لكن التعريف الجامع والمانع له يكمن في التالي: "كلام الله تعالى المعجز، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم واسطة جبريل بلسان عربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[6].

وبعضهم يزيد قيوداً أخرى مثل: المتحدى بأقصر سورة منه، أو المكتوب بين دفتي المصحف، أو المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس[7].

وهو أول مصدر من مصادر التقعيد، وكان من أسباب اجتهاد علماء اللغة في وضع قواعد الصرف والنحو والبلاغة... وكان رافدا مهما في استقصاء مفردات اللغة، ومعرفة الفصيح والدخيل...

يُفهم من هذا أن القرآن من مصادر التقعيد عند العرب، وأن له أهمية ليست بالصغيرة لدى الكثير من الكثير من العلماء المتخصصين واللغويين وغيرهم.

1.2. المصطلح القرآني:

إن مصطلح (المصطلح القرآني) مركب وصفي يتكون من لفظة (المصطلح) و لفظة (القرآن)، وقد عرفت القرآن سابقا، ولابد أن أعرّج عن مفهوم المصطلح على النحو التالي:

لفظة "المصطلح" مصدر ميمي من الفعل الخماسي المزيد (اصْطَلَحَ)، وهو اسم المفعول للفعل نفسه، ويرجع أصلها إلى مادة (ص ل ح) صلاحا وصلوحا؛ زَالَ عَنهُ الفساد وَالشَّيْء؛ كَانَ نَافِعًا أَو مناسبا، يُقَال هَذَا الشَّيْء يصلح لَك[8].

قال ابن منظور: "والصُّلْحُ: تَصالُح الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ. والصُّلْحُ: السِّلْم. وَقَدِ اصْطَلَحُوا وصالحوا واصَّلَحُوا وتَصالحوا واصَّالحوا، مُشَدَّدَةَ الصَّادِ، قَلَبُوا التَّاءَ صَادًا وأَدغموها فِي الصَّادِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ"[9].

أما في الاصطلاح، فقد عرف بتعريفات مغايرة، منها أنه:" اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني، أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة"[10].

ويمكن القول أنه يدلّ على اتفاق مجموعة من المنشغلين في لون أو حقل مجال علمي... على رموز معينة بمفهوم محدّد لا يمكن تداخل مفهوم آخره معه.

وإذا جئنا إلى المصطلح القرآني، فهو: "كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم مفردا كان أو مركّبا، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية، جعلت منه تعبيرا عن مفهوم معين، له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي[11].

والمصطلحات القرآنية هي:" كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤول بالاسمية. ويلحق بها أسماء الذوات غير الأعلام، لشبهها القوي بها، واختلاف الناس في مفهومها[12].

يظهر من التعريفين السابقين أن هذا المصطلح هو ذلك اللفظ أو العبارة أو الجملة الموجودة في الخطاب القرآني ، تحمل دلالة معينة داخل سياق الآيات القرآنية.

وقد عمل الباحث أبو القاسم حاج حمد، على تتبع مفاهيم المصطلحات القرآنية، كما استعملها القرآن الكريم في نصوصه، فقدم بذلك دراسة مفهومية متميزة لمصطلحات القرآن الكريم، أنتجت تعريفات جديدة، تستحق الجمع والترتيب، في معجم المصطلحات القرآنية المعرَّفة[13].

وكان الهدف الذي سطره في كتاباته وموسوعاته في دراسة هذه المصطلحات القرآنية هو الوصول إلى تعريف محدد للمصطلح، ولتحقيق هذا الهدف، سلك خطة تحليلية هي كالآتي[14] :

- ✓ دراسة اللغة العربية زمن تنزيل القرآن، والذي يؤشر على وضع عقلي للإنسان العربي، انعكس على لغته.
- ✓ دراسة اللغة العربية زمن التدوين، لا باعتبارها صناعة لغوية من "نحو وصرف وبلاغة.." فقط.
- ✓ دراسة لغة القرآن، باعتبارها "لغة مثالية"، أي أن القرآن استعمل "اللغة العربية" بمنهجية معجزة؛ حافظ على القالب اللغوي.

3. ترجمة مختصرة للأمير ونظرة عامة حول كتاب المواقف:

أبدأ هذا المبحث بترجمة مختصرة للأمير عبد القار، ثم أثني بنظرة عامة حول كتابه المواقف.

1.3.ترجمة مختصرة للأمير عبد القادر:

هو الأمير والمجاهد والعالم والكاتب والشاعر والسياسي والرائد والمحارب والصوفي والفيلسوف عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري. وهو الابن الثالث لأبيه.

ونسبه الكامل هو:" عبد القادر بن محي الدّين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن

يوسف بن أحمد بن بشّار بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر "[15].

ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد سنة .1807. قرب مدينة معسكر، حج البيت الحرام، وزار عدّة مدن وعواصم عربية، وبويع أميرا بعد دخول الاستدمار الفرنسي إلى بلادنا الجزائر سنة 1830م . وتولى مهمّة الجهاد على أرضه ضد هذا المستدمر.

قاتل المحتل الفرنسي زهاء خمسة عشر عاما، وبنى قواعد الدولة، وسك النقود مسميا إياها (المحمدية). كما أنشا مصانع لأدوات الحرب المختلفة من أسلحة ولباس وغيرهما.

تلقى العلوم المختلفة؛ فنجده قد أتقن: التفسير، والفقه، والحديث، والفلسفة، والنحو والعقيدة... والتفسير، وأما التصوف فقد كان ابن محيي الدين صوفيا على الطريقة القادرية، ويظهر ذلك من كتاباته وشعره الذي ضمنها العديد من المصطلحات في هذا المجال.

ويبدو أن "اشتغال الأمير بالتراث الصوفي لم ينطلق من البدايات، وإنما انطلق من أعلى كتب التصوف وأعمقها وأشدها اتصالا بالفلسفة وبخاصة كتب الشيخ محي الدين بن العربي وليست هذه الكتب مما تتيسر قراءتها للمبتدئ وإنما هي تتطلب من قارئها ثقافة عالية وإطلاعا واسعا على علوم التفسير وشرح الحديث وعلى كتب الفلاسفة والمتكلمين وعلى التراث الأدبي من عصر الجاهلية إلى القرن السادس الهجري"[16].

توفي رحمه الله تعالى يوم 26 مايو 1883 بدمشق- والتي نفي إليها- بعد ما خاض معارك جمّة في سنين عديدة، مدافعا على ثرى الوطن. فرحمه الله الرحمات الواسعات.

2.3.نظرة عامة حول كتاب المواقف:

يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي عن كتاب الأمير ما يلي: "ومن أشهر مؤلفات الأمير كتاب (المواقف) الذي يقع في ثلاثة مجلدات... وكان يطالع أمهات كتب التصوف ومنها الفتوحات المكية وفصوص الحكم لابن العربي، الذي يعده شيخه الأكبر"[17].

و قد تأثر الشيخ عبد القادر بابن العربي كثيراً في كتابه الذي بين أيدنيا؛ حيث إذ بناه على نظرياته وآرائه في التصوف.

والكتاب الذي بين أيدنا كتاب جليل في بابه، ضمّنه محيي الدين عليه رحمة الله اثنين وسبعين و ثلاثمائة موقفا. وطبع طباعات كثيرة،

قدم الأمير كتابه بعبارات صوفية مغرقة ووشح ذلك بمقامة أدبية -خيالية عن معشوقة تشبه معشوقة ابن الفارض. وكل موقف من مواقفه تقريباً يبدأ بآية ذات معنى توحيدي أو صوفي، ثم يأخذ في شرح الآية شرحاً صوفياً يتغلب عليه الفكر الباطني الذي يعبر عنه بالأسرار والغيبة عن الشهود[18].

ويضم الكتاب بعضا مما رأى شيخنا من رؤى أو مشاهدات في اليقظة أو في المنامات، على حد تعبيره،

يقول الأمير في المقدمة :"هذه نفثات روحية، وإلقاءات سبوحية، بعلوم وهبية، وأسرار غيبية، من وراء طول العقول، وظواهر النقول، خارج عن أنواع الاكتساب، والنظر في كتاب، قيدتّها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا ..."[19] .

ومن الواضح من هذا النص أنه ألّف المصنِّف مؤلّفَه لأهل التصوف، أو الذين لهم استعدادات صوفية، ويؤمنون بأصول أهل الباطن.

4. نماذج من المصطلحات القرآنية في متن كتاب المواقف:

أورد الأمير العديد من المصطلحات القرآنية في كتاب "المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد" ومنها ما يلي:

1.4.العبادة:

العبادة هي غاية الذل مع غاية الحب، فالعبادة تتركز على ثلاثة أشياء: على المحبة، وعلى الخوف، وعلى الرجاء[20].

وقد ذكر عبد القادر بن محيي الدين هذا المصطلح في الموقف الثاني في قوله تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [21].

وذلك في تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [22]. سورة الذاريات: 58.

يقول عبد القادر: "العبادة التي خلق لها الجن والإنس؛ هي العبادة الذاتية كسائر المخلوقات، ولاشك أن للجن والإنس عبادة ذاتية، والعبادة التي قلنا سببها الدعوى، وهي العبادة التكليفية، التي نشأت من اجتماع النفس الناطقة بالجسم العنصري"[23].

قسّم العبادة إلى عبادة ذاتية، وعبادة تكليفية. ثم طفق يشرح كل نوع على حدة، كما بيّن أن كل عالَم مختص بعبادة معينة.

2.4.الإرادة:

الإرادة هي المشيئة العامة التي يدخل فيها جميع المخلوقات من بر وفاجر وصالح وطالح، وهي إرادة الله تعالى لفعله، سواء إن كان المفعول منه محبوباً أو غير محبوب، يرضيه أم لا يرضيه، فالله تعالى يفعل ما يشاء، ولا يشاء شيئاً إلا بعد إرادته له، وكل ما كان منه فليس فيه إلا الجمال والجلال والحسن[24].

ذكر مصنفنا هذا المصطلح في الموقف الخامس، عند قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون ﴾[25].

يقول ابن محيي الدين :" اعلم أن للحق – تعالى- إرادة واحدة لها نوعان من التعلق، نوع مطلق غير مقيد ولا واسطة بينه وبين المراد، وأمر كذلك، وهذان نافذا ولا بد، أعني الإرادة المطلقة، والأمر والمطلق، يريد تعالى الشيء المعدوم، فيأمر بالكون فيكون، ذلك الشيء المأمور بالكون، سواء كان ينسب لمخلوق أم لا،

وللحق –تعالى- إرادة مقيدة بواسطة وأمر، كذلك. كأن يريد الحق - تعالى- من مخلوق فعلا يفعله ذلك المخلوق أو يأمر بشيء يفعله، فهذه الإرادة والأمر لا ينفذان، لأنه أراد المخلوق أن يفعل، وأمر المخلوق أن يفعل، وما أمر بالكون في ذلك المخلوق"[26].

يظهر من النص أن ابن محيي الدين يشرح الإرادة من عمق الفلسفة والتصوف ، معتمدا البرهان والاستدلال على ما يذهب إليه.

3.4.الإسراء:

الإسراء من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام، وهو انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة على القدس بفلسطين في الليل.

و قد ذكر مصنفنا هذا المصطلح عند قوله تعالى:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾[27].

جاء في المواقف:" أخبر الله في هذه الآية، إنه أسرى بعبده محمد بجسده وروحه ليريه من آيات الأفاق بعد أن أراه آياته في نفسه" [28].

يبرز المصنف رحمه الله أن الإسراء كان بالروح والجسد وهذه مسألة خلافية بين المنشغلين بالتفسير والعلوم الدينية الأخرى.

4.4.الشفاء:

ذكر الأمير هذا المصطلح القرآني في الموقف المائة والستة عند قوله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾[29].

ويقول في هذه الآية::" اعلم أن العلل والأمراض يراد بها علل القلوب، وعلل النفوس، وعلل الأجسام، والعلل التي القرآن شفاؤها " [30].

يشرح المصنف رحمات الله هذه الآية ويذكر أن العلل التي يقوم بشفائها القرآن هي أمراض القلوب والنفوس والأجسام.

5.4.النعمة:

جاء في مقاييس اللغة:"مَا يُنْعِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ مِنْ مَالٍ وَعَيْشٍ. يُقَالُ: لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ نِعْمَةٌ. وَالنِّعْمَةُ: الْمِنَّةُ، وَكَذَا النَّعْمَاءُ. وَالنَّعْمَةُ: التَّنَعُّمُ وَطِيبُ الْعَيْشِ"[31].

وقد ورد في القرآن بالاسم والفعل في الكثير من الآيات القرآنية، وجاء ذكره عند عبد القادر في الموقف الثالث والثمانين ،عند قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [32]

يقول الأمير: "المراد بالنعمة هنا، نعمة العلم والمعرفة بالله تعالى، والعلم بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، من المعاملات والأمور المغيبات... وإطلاق النعمة على غيرها مجاز بالنسبة إليها"[33].

ذكر عبد القادر مصطلح القرآني(النعمة) ثم فسّره تفسيرا صوفيا، وأن معناها هم العلم، وأن كل ما أطلق على غيرا هي مجاز بالنسبة لهذا الأصل.

5. **الخاتمة:**

أَصلُ في الأخير إلى ذكر بعض النتائج المستنبطة من هذه الورقة البحثية، ومنها:

- أهم ما يمكننا استنتاجه من هذه الورقة العلمية أن الأمير عبد القادر الجزائري استخدم المصطلحات القرآنية في كثير من مواقفه.
- كان الأمير عبد القادر يقوم بتأويل المصطلحات القرآنية انطلاقا من حسّه الصوفي العرفاني.
- توصل البحث كذلك إلى أن المصطلحات القرآنية مبثوثة في كامل الكتاب تقريبا.
- حرص الأمير على شرح الكثير من هذه المصطلحات، وتعريفها والاستشهاد عليها، مما يجعل كتابه ثروة مصطلحية هائلة،
- تبحّر الأمير عبد القادر في العلوم الإسلامية والتفسير وغيرها هو السبب الوجيه في جعل الأمير عبد القادر يكثر من هذه المصطلحات القرآنية ويشرحها ويستشهد بها.

وأما ما يمكن ذكره من توصيات، فأهيب بالباحثين الاهتمام بهذا الكتاب ودراسته في جوانب متعددة؛ كالاهتمام بالمصطلحات في شتى المجالات؛ كدراسة المصطلح البلاغي والنّحوي وغيرهما في كتابه هذا.

كما يمكن دراسة الشواهد المختلفة التي أتى بها الأمير عبد القادر للاستدلال على ما يذهب إليه من آراء صوفية أو تفسيرية أو فلسفية...

ويمكن الحديث عن الحياة العلمية والفكرية والأدبية في عصر الأمير من خلال كتاب المواقف.

الهوامش

[1]-ينظر: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، أنور محمود زناتي، دار زهران للنشر، الأردن، 1985م، ص:8.

[2]-ينظر: مختار الصحاح، محمد الرازي، دائرة المعارف في مكتبة لبنان، د.ط، بيروت، 1985م. ج: 1، ص: 130.

[3]- سورة القيامة، الآيتان:17- 18.

[4]- مباحث في علوم القرآن والحديث، عبد المحمود مطلوب، ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،ط:1، القاهرة، مصر،2004م، ص:7.

[5]- الإيمان الأوسط، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط:1، الجزائر، 2006م، ص: 60.

[6]-ينظر: شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق: محمد الحفناوي، دار السلام للطباعة والنشر،ط:1، 2005م،ج:1، ص:143

[7]- ينظر: عبد المحمود مطلوب، مرجع سابق، ص:7/ 8 .

[8]-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، د. ط، د.ت، ج:1، ص: 520.

[9]- لسان العرب ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط:3، 1984م، ج: 2، ص: 517.

[10]-اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصابور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط:2، 1986م، ص: 121.

[11]- دراسات مصطلحية، الشاهد البوشيخي، دار السلام،، القاهرة، مصر، ط:1، 2011م، ص:109.

[12]- نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، الشاهد البوشيخي، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط:2، 1986م، ص: 121.

[13]- معجم المصطلحات القرآنية المُعرَّفة في مؤلفات محمد أبو القاسم حاج حمد، مصطفى بوكرن، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 14 ماي 2016ص: 60. https://www.mominoun.com/tags/764

[14]- المصدر نفسه.

[15] - الأمير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني ومجاهد إسلامي، محمد علي الصلابي، دار المعرفة بيروت، ص: 100.

[16] - وقفة على كتاب المواقف للأمير عبد القادر، بو عبد الله غلام الله، صفحة بو عبد الله غلام الله، https://bouabdallahghlamallah.com/ /

[17] - تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء السابع، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1998، ص:117.

[18] - المصدر نفسه.

[19] - المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، عبد القادر بن محي الدين، مطبعة الشباب، مصر، 1925م، ج:1،ص: 9

[20] - معجم مصطلحات القرآن الكريم، الفقير أبو زيدان العربي، د.ط، 2018م، ص: 72

[21] - سورة الفاتحة: 05

[22] - سورة الذاريات: 58.

[23] - المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، عبد القادر محيي الدين، ج:1، ص: 22.

[24] - أنواع الإرادة في القرآن الكريم والفرق بينهما، علي الصلابي، https://www.aljazeera.net/blogs/2019/3/7/

[25] - سورة النحل: 40

[26] - المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، عبد القادر محيي الدين ج:1، ص: 36-37

[27] - سورة الإسراء: 01.

[28] - المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، عبد القادر محيي الدين، ج:1، ص: 199.

[29] - سورة الإسراء: 82.

[30] - المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، عبد القادر محيي الدين ،ج:1، ص: 199.

[31] - مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج:5، ص:443.

[32] - سورة: الضحى.

[33] - المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، عبد القادر محيي الدين ج:1، ص: 36-37.

المصادر والمراجع

*- القرآن الكريم

1) الأمير عبد القادر محيي الدين الجزائري قائد رباني ومجاهد إسلامي، محمد علي الصلابي، دار المعرفة بيروت.
2) أنواع الإرادة في القرآن الكريم والفرق بينهما، علي الصلابي، https://www.aljazeera.net/blogs/2019/3/7/
3) الإيمان الأوسط، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط:1، الجزائر، 2006م
4) تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء السابع، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1998.
5) دراسات مصطلحية، الشاهد البوشيخي، دار السلام،، القاهرة، مصر، ط:1، 2011م.

6) شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق: محمد الحفناوي، دار السلام للطباعة والنشر،ط:1، 2005م.
7) لسان العرب ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط:3، 1984م.
8) اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصابور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط:2، 1986م.
9) مباحث في علوم القرآن والحديث، عبد المحمود مطلوب، ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،ط:1، القاهرة، مصر،2004م
10) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، د. ط، د.ت.
11) مختار الصحاح، محمد الرازي، دائرة المعارف في مكتبة لبنان، د.ط، بيروت، 1985م
12) معجم المصطلحات القرآنية المُعرَّفة في مؤلفات محمد أبو القاسم حاج حمد، مصطفى بوكرن، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 14 ماي https://www.mominoun.com/tags/7642016
13) معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، أنور محمود زناتي، دار زهران للنشر، الأردن، 1985م
14) معجم مصطلحات القرآن الكريم، الفقير أبو زيدان العربي، د.ط، 2018م.
15) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
16) المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، عبد القادر بن محيي الدين، مطبعة الشباب، مصر، 1925م.
17) نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، الشاهد البوشيخي، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط:2، 1986م.
18) وقفة على كتاب المواقف للأمير عبد القادر، بو عبد الله غلام الله، صفحة بو عبد الله غلام الله، https://bouabdallahghlamallah.com/

المصطلح النَّقدي الشِّعري القديم بين أسامة بن منقذ وموسى بن عزرا: دراسة مقارنة تقابليَّة في الاستعارة والتصدير أنموذجًا

the ancient poetic critical term between Osama bin Munqith and Musa bin Ezra: A Contrastive comparative study Literary metaphor and literary repetition model"

إبراهيم أبو حمَّاد

جامعة صفاقس(تونس).IbrahimaboHammad@Yahoo.Com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023 / 09 / 17	2024 / 03 / 24	2024 / 06 / 01

مُلَخَّصُ البَحث

تناقش هذه الدِّراسة- الموسومة ب" المصطلح النَّقدي الشِّعري القديم بين أسامة بن منقذ وموسى بن عزرا: دراسة مقارنة تقابليَّة في الاستعارة والتصدير أنموذجًا "- شواهد ونماذج في الاستعارة والتصدير من مصطلحات النقد الشعري القديم في كتابين لمؤلفين من ديانتين مختلفتين، وذلك بمناقشة آرائهما الشخصية في مصطلحات النقد الشعري القديم، واستخدمت الدِّراسة المنهج التحليلي والمقارن التقابلي؛ ولقد توصلت الدِّراسة إلى عددٍ من النتائج منها؛ سعي العبريَّة الحثيث إلى نسخ النَّقد العربيِّ القديم للنهوض بالشِّعريَّة العبريَّة، إلا أنَّها لم تتمكن من التطور بالمستوى النقدي العربي.

الكلمات المفاتيح: النَّقد العربيِّ القديم، النَّقد العبريِّ القديم، البلاغة، موسى بن عزرا، أسامة بن منقذ.

Abstract

This study, tagged with -"the ancient poetic critical term between Osama bin Munqith and Musa bin Ezra: A Contrastive comparative study Literary metaphor and literary repetition model"-, the terminology of ancient poetic criticism in two books by authors of two different religions. to discuss their personal opinions in the terminology of ancient poetic criticism. The study used the analytical and contrastive method; By explaining the views of each of them, the study reached a number of results, including , Hebrew

endeavors to copy the ancient Arab criticism to advance the Hebrew poetry, but it has not been able to develop at the Arab monetary level.

Keywords: Ancient Arabic Criticism, Ancient Hebrew Criticism, Rhetoric, Osama bin Munqith, Musa bin Ezra.

1.مقدمة:

تناقش هذه الدِّراسة شواهد مصطلحية نقدية قديمة في الشعر بين أسامة بن منقذ وموسى بن عزرا، إذ اشترك الكتابان موضوع هذا النقاش في البلاغة الشعريَّة، فبين الشِّعر والبلاغة ميثاقًا غليظًا، وقد عاش كليهما في القرن الثاني عشر الميلادي، ولتناقش هذه الدِّراسة تصوراتهما للمصطلحات النقديَّة الشِّعريَّة، فهما شاعران وناقدان.

ولذا؛ فإنَّ أهمية الدِّراسة تتمثل في الجانب النظري ببيان شواهدٍ لمفاهيم المُصطلحات النقديَّة الشِّعريَّة دون الخوض في غمار نظرية المصطلح وإشكالياته، إذ تتعدد المفاهيم المصطلحات والمصطلحات باختلاف الذوات التي ناقشت موضوعيَّته، مما اقتضى بيان توجهات الكاتبين منهما، ومناقشة آرائهما.

مشكلة الدِّراسة

تنطوي مشكلة الدِّراسة على بيان الموقف العلمي لكل من الكاتبين في موضوع المصطلح النقدي الشعري القديم في الاستعارة والتصدير أنموذجًا ، وبيان آراء كل كاتب إزاء ذلك.

أسئلة الدِّراسة

ولمعالجة إشكالية الدِّراسة، فلقد وضعت الدِّراسة السؤالين التاليين حلاً لمشكلة البحث:

ما القضايا النقديَّة التي ناقشها كلا الكتابين؟

ما آراء الفريقين من المصطلح الشعري القديم في الاستعارة والتصدير بكتابيهما المشار إليهما؟

منهجية الدِّراسة

ولتناول ذلك فلقد اتبعت الدِّراسة كلًا من المنهجين الآتيين:

1-منهج تحليل المحتوى الوصفي وغير الإحصائي لبيان المفاهيم التي عالجها كل كاتب في مصنفه.

2-منهج المقارنة التقابلية بين آراء كل من الكاتبين في كتابيهما المذكورين سابقًا.

حدود الدِّراسة

إنَّ حدود الدِّراسة تتحدد وتنحصر في إطار الكتابين المذكورين بموضوع هذه الدِّراسة.

الدِّراسات السَّابقة

إنَّ الدراسات السابقة في حدود هذه الدِّراسة منعدمة؛ لذا فإن هناك دراسات تُعدُّ روافد لها بالنظر لكيفية معالجة الموضوع البحثي في كتابين، وذلك للإفادة من المنهجية والآلية الإجرائية لذلك، وهي كما يلي:

1-الذنيبات، فايز مدالله سلمان، و المنصور، زهير أحمد محمد .(2003) .المصطلح البلاغي والنقدي عند اسامة بن منقذ (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة مؤتة، الكرك، وناقشت هذه الدِّراسة مساهمة أسامة بن منقذ في بناء المصطلح البلاغي والنقدي، بالموازنة مع النقاد العرب القدامى، وأثبت في حكمه بأنَّ أسامه بن منقذ كان له فضلٌ في تطور المصطلح النقدي والبلاغي. لكن هذه الدِّراسة تختلف بمقارنة أسامة بموسى بن عزرا من جهة المصطلحات النقديَّة.

2- بوكيل، أمينة. (2017). المصادر العربية للنقد العبري الوسيط كتاب المحاضرة والمذاكرة لموسى بن عزرا نموذجا .حوليات التراث: جامعة مستغانم، ع17 تتجاوز هذه الدِّراسة التأثير والتأثر بين النقد العربي واليوناني، وتناهض هذه المركزية الأوروبية إلى النقد في الآداب الشرقية، وبرهنت الدِّراسة بأن عزرا تأثر في النقد العربيِّ بأسلوبه الكتابي، والاستشهاد بالنقاد العرب. لكن هذه الدِّراسة تختلف بمقارنة أسامة بموسى بن عزرا من جهة المصطلحات النقديَّة.

خطة الدِّراسة

ولغاية دراسة هذا الموضوع، فلقد تم تقسيمه على مبحثين، هما:

المبحث الأول: تحليل محتوى المدونتين محل الدِّراسة

المطلب الأول: البديع في نقد الشِّعر لأسامة بن منقذ

المطلب الثاني: المُحاضرة والمذاكرة لموسى بن عزرا

المبحث الثاني: شواهد من المصطلحات النَّقدية في المدونتين

المطلب الأول: شواهد من المصطلحات النَّقدية في علم البيان

المطلب الثاني: شواهد من المصطلحات النَّقدية في علم البديع

2. تحليل محتوى المدونتين محل الدِّراسة

يناقش هذا المبحث مطلبين، أمَّا المطلب الأول فيتناول كتاب البديع في نقد الشِّعر لأسامة بن منقذ، وأمَّا المطلب الثاني فيتدارس مصنف المُحاضرة والمذاكرة لموسى بن عزرا وذلك وفقًا للآتي:

1.2. البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ

كتاب "البديع في نقد الشعر» هو للأمير الأديب الشاعر أسامة بن منقذ الكناني الكلبي، من العلماء الشجعان، ولد في شيزر في سوريا سنة 488 هجرية، وسكن دمشق، وقاد عدة حملات ضد الصليبيين في فلسطين، وبنى قلعة عجلون على جبل عوف بأمر من صلاح الدين الأيوبي، وأقام في دمشق إلى أن توفي سنة 584 للهجرة، وله تصانيف كثيرة من أهمها كتاب "الاعتبار" [1]وهو من السير الذاتية التي كشفت الوجه السافر للصليبين في فلسطين. وكان قد بلغ من الكبر عتيا، فقال:

مع الثمانين عاث الدهر في جلدي — وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
إذا كتبت فخطي جِدُّ مضطرب — كخط مرتعش الكفين مرتعد
فأعجب لضعف يدي عن حملها قلمًا — من بَعدِ حطم القنا في لبة الأسد
وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت — رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد
فقل لمن يتمنى طول مدته — هذي عواقب طول العمر والمُدَد[2]

وكتابه البديع في نقد الشعر، أوسع كتب البديع السائدة، فقد أفاد أسامة من السابقين، وأضاف لهم. إذ بلغت أبواب البديع خمسة وتسعين بابًا. منها أربعين مبحثًا نقديًا، والأخرى مباحث بلاغية، علمًا بأنه قد كان المراد بعلم البديع عند الأقدمين علم البلاغة[3].

وقد حقق الكتاب كل من أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد 1960م مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده[4]، و عبدالأمير علي مهنا 1987م دار الكتب العلمية بعنوان البديع في البديع في نقد الشعر و محفوظة أبي بكر بن محتومة 2020م مكتبة الثقافة الدينية، وقد اعتمد على الكتب النقديَّة الآتية : 1. البديع لابن معتز، 2. الحالي والعاطل للحاتمي، 3. الصناعتين للعسكري، 4. اللمع للعجمي، 5. نقد الشعر لقدامة، 6. العمدة لابن رشيق. كما أنه رجع إلى غيرها، فهو يتكلم على التجنيس والاستعارة، والتورية والاستخدام، والتسهيم والتذييل، والإغراب والتهجين، والسرقات و. . . مكثراً من نقل الأشعار ناسبًا إياها إلى أصحابها[5].

2.2. المُحاضرة والمذاكرة لموسى بن عزرا

يُشير الكاتب العبري يوسف سادن יוסף סדן بأنَّ: مدونة " المحاضرة والمذاكرة" "ספר העיונים והדיונים" -المعروفة بكتاب "الدراسات والمناقشات" في ترجمة خاطئة لعنونته أثناء نقلة إلى اللغة العبرية- ليس باكورة الدراسات النقدية العبرية القديمة؛ إذ تزعم الدراسات العبرية بأنَّه ليس من أوليات نقد الشعر العبري، ويبرهن

يوسف سادن على ذلك بدراسة יוסף יהלום يوسف ياهلوم(1941م)المستشرق اليهودي الباحث في الأدب العبري بالحضارة العربية الإسلامية، إذ يشير بأن اليعازر بن يعقوب البابلي، كان له قصب السبق في ذلك، مِمَّا يجعل من موسى بن عزرا تاليًا، بذلك يتضح امتعاض يوسف سادن من ترجمة عبدالرزاق قنديل لكتاب موسى بن عزرا[6]، دون ذِكرٍه لسلسة فضل الإسلام على اليهود واليهودية الصادرة عن مركز الدراسات الشرقية، والتي تُشير إلى فضل الإسلام على اليهود واليهودية وتسامحه مع الطائفة اليهوديَّة، علما بأن كتاب يوسف ياهلوم عن اليعازر بن يعقوب خاص بأشعار مكتوبة بالعبرية في القرن الثالث عشر ميلادي[7]، وإنَّ ذلك لا يقطع بأسبقيته عن موسى بن عزرا، ولسبب بسيط أن موسى بن عزرا توفي في بداية القرن الثاني عشر ميلادي، ويدلل هذا الصراع ببدايات النقد الشعري العبري القديم على فقر المصادر العبرية وبورها وقفارها، واعتمادها على النقد العربي القديم، دون الخوض في مسائل أخرى خاصة بالنحو واللغة والعَروض والفلسفة ...والأحكام الفقهية.

وطُبع كتاب المذاكرة والمحاضرة كما تُبيّن أمينة بوكيل لأول مرة من العالم الروسي "ب. كوكفزوف" بمكتبة سانت بطرسبورغ سنة 1895م، وأعيد نشره من "ليبزج Leipzig"بالقدس سنة 1929م، و يوجد الآن تحقيقات بلغات مختلفة عربية وعبرية وإنكليزية واسبانية، أهمها لدى أمينة بوكيل طبعة معهد علم اللغات والمجلس الأعلى للأبحاث العلمية بجامعة مدريد سنة 1985م، أما عند العرب فطبعه أوَّلًا أحمد عبد الرزاق قنديل ضمن مركز الدراسات الشرقية 2001م التي اعتمدت عليها هذه الدِّراسة، إلا أنَّ تحقيقها غير تام إذ نقل الكتاب من الخط العبري للكلمة العربية إلى الحروف العربية دون أي تعديل للقارئ العربي "العبرية العربية" ومثالها النسا التي كتبت بالحروف العبرية مع إسقاط الهمزة دون تقديمها عربية فصحى بالنساء[8]، وأعاد تحقيقه وشرحه كل من أحمد شحلان[9] والسعدية المنتصر في الرباط.

ينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين -:القسم الأول يعالج ثمانية قضايا نقدية جاءت وفق السؤال المعرفي بأجوبة عن أسئلة -: فالقضية الأولى في شأن الخطب والخطباء يوضح وجوه المنطق البرهاني والجدلي والشعري والخطبي والسفسطائي، وأشاد ببيان العرب وفصاحتهم ونَظْمِهِم في مختلف الفنون[10] ؛ - الجواب عن السؤال الثاني في شأن الشعر والشعراء؛ فأفاد بأن الشعر من العلوم الاصطلاحية التي تتفق عليها الأمة، وليس علمًا بذاته مثل الهندسة والموسيقى والعَروض[11] الجواب عن السؤال الثالث وهو كيف صار الشعر في ملة العرب طبعًا وفي سائر الملل تطبعا؛ لأن الله منحهم البيان، بينما الملة اليهودية فعلمها الدين[12]، أما الجواب عن السؤال الرابع فيها إن كان سمع لملتنا شعر أيام دولتها أي دعوتها وقوتها إذ لم يكن مفهوم الدولة حاضرًا في تلك الأيام، فلقد أجاب بأن الملة اليهودية لسانها سرياني أو آرامي "قضاعي" واللغة العبرية دينية منقطعة عن الحياة[13]؛ - الجواب عن السؤال الخامس في شغوف جالية الأندلس في شأن الشعر والخطب والنثر، فإنها عيون العلم العربية التي تأثروا

فيها [14] ؛ - الجواب عن السؤال السادس هو أن أعرض عليك نموذجا من الآراء المستحسنة عند نفسي في هذا الشأن؛- فيبين أن موت الكرام أمات الكلام، وأنَّ الجهل أمات الشعر وعرض نموذجًا من أشعاره في فنون وأغراض شعرية مختلفة[15]، الجواب عن السؤال السابع في قرض الشعر في النوم؛ فخبر لا يمكن إنكاره[16] - الجواب عن السؤال الثامن وهو في صنعة القريض العبراني على قانون العرب– .؛ فيلزمه اتفاق عبري وعلم باللغة والنحو والموسيقى وطبعًا لا تكلفًا، ويؤيد قضية عمود الشعر العربي واللفظ والمعنى والصدق والكذب وبأنه يجب اتباع العرب في الشعر ما استطاعوا عليه، وأجاز الأخذ من العرب مع فهم اختلاف تراكيب اللغتين[17].

أما القسم الثاني فسماه "عشرون فصلًا من فصول البديع في محاسن الشعر"وهي :الاستعارة، الوحي والإشارة، المطابقة، المجانسة، التقسيم، المقابلة، التسهيم، الترديد، التتبيع، التبليغ، التتميم، في حشو بيت، في الاستثناء، التشبيه، الاعتراض، الغلو والإغراق، التصدير، حسن الابتداء، التخلص، الاستطراد[18]، وهو ما سنوضحه في المبحث الثاني.

3. شواهد من المصطلحات النقدية في المدونتين

سنقف في هذا المبحث على شواهد من المصطلحات النقدية لكل منهما، وفق التقسيمات الحديثة في مطلبين: أولها البيان، وثانيهما البديع، فالمصطلحات النقديَّة والبلاغيَّة لابن منقذ بلغت خمسة وتسعين مصطلحًا، أمَّا لدى ابن عزرا فبلغت عشرين مصطلحًا وردت في محاسن الشعر، وإنَّ تفوق ابن منقذ لا ينم عن نبوغ كمي، وإنَّما تراكم معرفي من المدرسة النقديَّة العربيَة، فهو فرق الأصيل عن المقلد، اللذان لا يستويان معًا؛ ولذا سنقف على شاهدين في فني البيان والبديع، ولن نبحث في علم المعاني الذي لم يذكر منه بن عزرا إلَّا الاستثناء ولم يناقشه ابن منقذ، وذلك كما يأتي لاحقًا:

1.3. شواهد من المصطلحات النقديَّة في علم البيان

يقول أسامة بن منقذ: "اعلم أن الاستعارة هو أن يستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول، ومنه قوله سبحانه وتعالى: " وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا"[19]، " وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرا " [20] ومَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ"[21]. والاستعارة أوكد في النفس من الحقيقة، وتفعل في النفوس مالا تفعله الحقيقة، وقوله: فتيلا، أنفى للكثير و القليل من قوله: شيئا. وقوله تعالى: " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ [22]" ، و " وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ"[23] ،" وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا " [24]، " نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ " [25]، " عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ"[26] .

وأحسن الاستعارات قول ذي الرمة:

أقامَتْ به حَتَّى ذوى العودُ في الثَّرى وساق الثريا في ملاءته الفجرُ

ولذا؛ فإن ابن منقذ قد عرَّف مفهوم الاستعارة اصطلاحًا، وأبان عن جمالها وكشفها عن حقيقة المعنى، وأمَّا معنى الاستعارة لغة في مادة " ع و ر" تَعَوَّرَ وَاسْتَعَارَ: طَلَبَ الْعَارِيَّةَ. وَاسْتَعَارَهُ الشَّيْءَ وَاسْتَعَارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيرَهُ إِيَّاهُ؛ وبمعنى تَجَاوَرُوا. وَفِي الْحَدِيثِ: يَتَعَاوَرُونَ عَلَى مِنْبَرِي أَيْ: يَخْتَلِفُونَ وَيَتَنَاوَبُونَ كُلَّمَا مَضَى وَاحِدٌ خَلَفَهُ آخَرُ. يُقَالُ: تَعَاوَرَ الْقَوْمُ فُلَانًا إِذَا تَعَاوَنُوا عَلَيْهِ بِالضَّرْبِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ؛ وَيُنْشِدُ:

إِنَّمَا أَنْفُسُنَا عَارِيَّةٌ وَالْعَوَارِيُّ قِصَارٌ أَنْ تُرَدَّ

وَاسْتَعَارَهُ ثَوْبًا فَأَعَارَهُ إِيَّاهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كِيرٌ مُسْتَعَار. وَقِيلَ: مُسْتَعَارٌ بِمَعْنَى مُتَعَاوَرٍ أَيْ: مُتَدَاوَلٍ[27].

وفي معجم الصحاح معنى كلمة: عور

ع و ر: العَارَةُ أيضا العارية وهم يَتَوَّرُون ثوبا فَأَعَارَهُ إياه و عَاوَرَ المكاييل لغة في عَايَرَهَا، و اعْتَوَرُوا الشيء تداولوه فيما بينهم، وكذا تَعَوَّرُوهُ تَعَوُّرَا و تَعَاوَرُوهُ[28].

وقد بيَّن أحمد مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها[29] مفهوم مصطلح الاستعارة ، إلَّا أنَّه يوضح ذلك في ضوء الدراسات النقديَّة الحديثة، واكتفى بالقول بأنَّها تتضمن ذات المفهوم، وكذلك فايز ذنيبات[30].

فالاستعارة: مجاز استبدالي لمفردة لفظية بأخرى، تتجاوز المعنى الأصلي، وتقوم على المشابهة بين المفردتين، ويتمايز عن التشبيه بادعاء دخول المشبه به في جنس المشبه به؛ ومثالها القول مادحًا: أنت أسدٌ.

فالتخاطب قرينة تدل على الإنسانية، وتشبيه المخاطب مادحًا إياه بالأسد أي تشبيه مع ادعاء بأنه من جنس الأسود، وبذلك استخدمت المفردة على غير معناها الأصلي للقرائن المذكورة. ويتفق ابن منقذ مع لورغون ميشال بأن الاستعارة تأثيرية، ومشاركة شعورية[31].

ولا تقتصر الاستعارة على استعارة الشيء المحسوس للمعقول، إذ سبر السكاكي غور الاستعارة، وعالج تقسيماتها، ومنها؛ أقسامها باعتبار مادة طرفيها وهي:

1. استعارة محسوس لمحسوس ومثالها: لون ثلج يشتعل فكلاهما الثلج والاشتعال يدركان حسيًّا وجامعهما الوضوح.
2. استعارة معقول لمعقول ومثالها: " من بعثنا من مرقدنا" فالرقاد والموت جامعهما الغفلة يدركان عقلا
3. استعارة معقول لمحسوس ومثالها: " إنَّا لمَّا طغى الماء حملناكم في الجارية" فطغيان الماء المشبه الحسي والتكبر المشبه به عقلي، وجامعهما بجامع هول الكفر، والدمار الحاصل[32].

وأمَّا الاستعارة لدى موسى بن عزرا؛ فإنها أجمل في النظم وينكر الإفراط والغلو فيها، وأنَّ غرضها التقريب بالدلالة وترك الغموض بالإطالة؛ ومثالها: אם הדרך، אישון הלילה خدمة الليل، לשון זהב لسان ذهب، وذكر

فضل العرب في هذا الباب، واستشهد بآيات من القرآن الكريم مثل؛ ،" وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا " ، " نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ " ، وأوضح أنَّ تلك الأمثلة تدل على الاستعارة الصريحة، أمَّا الخفية "المكنية"[33] فمثل השמים מדברים בכבוד האל أي: السموات تحدث بمجد الله، وضرب المثال المذكور سابقًا من شعر ذي الرمة وشرح مفرداته، وجمالياته.

2.3 شواهد من المصطلحات النقدية في علم البديع

باب الترديد ويسمى التصدير

يقول أسامة بن منقذ: "اعلم أن الترديد هو رد أعجاز البيوت على صدورها أو رد كلمة من النصف الأول إلى النصف الثاني.

قال بعض العرب:

سريع إلى ابن العم يجبر كسره ..... وليس إلى داعي الخنا بسريع

تصدير لفظة سريع في المصرع والعجز.

وقال زهير:

من يلقَ يومًا على عِلاَته هرِمًا ..... يَلْقَ السماحةَ منه والنّدى خُلقا

ترديد لفظة تلق في بداية الصدر والعجز

ومثله لأبي تمام:

حرام على أرماحنا طعن مدبرٍ ويندقّ قدما في الصدور صدورها[34]

ترديد صدور في العجز.

أمَّا الترديد لدى ابن عزرا فإنه يكون بتعليق الشاعر لفظة في البيت، ثم يعيده بعينه في المصرع فلا يفسده بل يزيده حسنًا ويستشهد في قول الشاعر:

من يلقَ يومًا على عِلاَته هرِمًا ..... يَلْقَ السماحةَ منه والنّدى خُلقا[35]

و قال الحاتمي : "هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت في أوله أو في عجزه أو في النصف منه ثم يرددها في النصف الأخير فاذا نظم الشعر على هذه الصنعة تهيأ استخراج قوافيه و قبل أن يطرق أسماع مستمعيه، و هو الشعر الجيد و تبعه في التسمية ابن رشيق الذي ذكر أقسام ابن المعتز و قال إنّه: «قريب من الترديد، و الفرق بينهما أنّ التصدير مخصوص بالقوافي تردّ على الصدور فلا تجد تصديرا إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين و إن لم يذكروا فيه فرقًا و الترديد يقع في أضعاف البيت إلا ما ناسب قول ابن العميد المقدم"، و هو:

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب ... وإن كان مرضياً فقل شعر كاتب

وقال: "وهو داخل- عندي- في باب الترديد إذ كان قوله عند السّخط «شعر كاتب» إنما معناه التقصير به وبسط العذر له إذ ليس الشعر من صناعته كما حكى ابن النحاس أنّهم يقولون «نحو كتابي» إذا لم يكن مجودا، و قوله عند الرضى «شعر كاتب» إنما معناه التعظيم له و بلوغ النهاية في الظرف و الملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ و طرق البلاغات فقد ضادّ و طابق في المعنى و إن كان اللفظ تجنيسا مرددا"[36]

4.الخاتمة

وبذلك نجد أن المؤلفين طرقا أبوابًا مشتركة في علم البلاغة "البديع"، وإنَّ المركزية والمرجعية الفكريَّة للنصين عربيَّة، واعترافًا بأصالة العرب في البيان، وإنَّ الشِّعرية العبرية مُقلِدة، وإنَّ الفكرة البلاغيَّة العربيَّة أسبق على الوعي بوجودها، ولم تُكتشف مكنوناتها وأسرارها بَعْد، وبالنتيجة نجد أن هناك تفاهمًا في هذه المسائل بين كلا الكتابين، ولقد توصلت الدِّراسة إلى عدد من النتائج منها أن موقف المدرسة النقدية العبرية يبيّن تفوق الموهبة الشعريَّة العربيَّة على الأمم الأخرى من اليونانية والديانات الأخرى وخاصة اليهوديَّة، وتسعى إلى الإغارة عليها لتمكين الشِّعرية العبريَّة من البروز والنفاذ إلى عالم الأدب، ووصف الدواء العربي اللغوي الناجع لمعالجة أسقام وعلل اللغة العبريَّة، إلا إنَّ الشعريَّة العبريَّة لم تتمكن من التطور ومضاهاة المستوى النقدي العربي، وقد ذاع المصطلح النقدي العربي القديم بين العبرانيين، وانتشر، وكان أصيلًا غير تابع، ومركزًا غير هامش، ومائدةً ينهل منها نقاد العالم القديم، يتذوقونها، ويحذون حذوها.

الهوامش

[1]النعساني، طاهر. (1930). أسامة بن منقذ .*مجلة المجمع العلمي العربي: المجمع العلمي العربي، مج 10، ج 4* ،230-237.

[2]حتي، فيليب. (1930). أسامة بن منقذ .**(2)** *مجلة المجمع العلمي العربي: المجمع العلمي العربي، مج 10، ج 10* ، 592.**603** - ص 594.

[3]يُنظر الذنيبات، فايز مدالله سلمان، و المنصور، زهير أحمد محمد .**(2003)** .*المصطلح البلاغي والنقدي عند اسامة بن منقذ* (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة مؤتة، الكرك .

[4]محمد، وسن صادق عباس، و عسكر، حيد إسماعيل. (2021). المقاييس الأسلوبية في كتاب البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ .*مجلة العلوم الانسانية: جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج28، عدد خاص* ،1-12ص 12.

[5] إ.ج. كراتشكوفسكي علم البديع والبلاغة العربية عند العرب ، ترجمه وقدم له : محمد الحجري ، دار الكلمة للنشر ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1983م .

[6]יוסף סדן https://wwwhaaretz.co.il/misc/1.784441 17.08.2011

[7]פרקים בתורת השיר לאלעזר בן יעקב הבבלי https://www.ybz.org.il/?CategoryID=687&ArticleID=3307#.YcXmdGiZPIV

[8]عزرا، بن موسى. المحاضرة والمذاكرة، ترجمة عبد الرزاق أحمد قنديل: القاهرة. مركز الدراسات الشرقية، 2001ص24.

[9]أحمد شحلان (مواليد 1944 بمدينة مراكش)، هو مؤرخ مغربي مختص في مقارنة الأديان وأستاذ اللغة العبرية والدراسات الشرقية. أستاذ زائر بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا » **E.P.H.E** » جامعة السربون بباريس سنة 2004.

[10]عزرا، بن موسى ص 23.

[11] المرجع السابق ص 33.

[12]المرجع السابق ص39-41.

[13]المرجع السابق ص 53.

[14]المرجع السابق ص 60.

[15]المرجع السابق ص 87-91.

[16]المرجع السابق ص 101.

[17]المرجع السابق ص 111-121.

[18]بوكيل، أمينة. (2017). المصادر العربية للنقد العبري الوسيط كتاب المحاضرة والمذاكرة لموسى بن عزرا نموذجا .*حوليات التراث: جامعة مستغانم، ع17* ، ص

[19] **النساء: 49**

[20] النساء: 124

[21] فاطر: 13

[22] الإسراء: 24

[23] الزخرف: 4

[24] مريم: 4

[25] يس: 37

[26] الحج: 55

[27]معجم لسان العرب مادة ع و ر.

[28]معجم الصحاح مادة ع ور.

[29]مطلوب، أحمد. (1983) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الجزء الأول. مطبعة المجمع العلمي العراقيص**82 :** وما بعدها

[30]فايز ذنيبات مرجع سبق ذكره ص 49-54.

[31]القرعان، فايز. علم البيان: إربد. عالم الكتب الحديث، 2019 ص 173

[32]المرجع السابق ص 192-193.

[33]الجرجاني، عبد القاهر.(ب. ت) . أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ص46-47.

[34]ابن منقذ مرجع سبق ذكره 51-52.

[35]ابن عزرا مرجع سبق ذكره ص 186-187. والذنيبات، مرجع سابق ص 54-54.

[36]مطلوب مرجع سبق ذكره ص 356.

المراجع

أولًا: المراجع العربيَّة

1- إ.ج. كراتشكوفسكي علم البديع والبلاغة العربية عند العرب ، ترجمه وقدم له : محمد الحجري ، دار الكلمة للنشر ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1983م .

2-بوكيل، أمينة. (2013). المكونات العربية في الشعر العبري الأندلسي موسي بن عزرا نموذجا .*حوليات التراث: جامعة مستغانم، ع 13* ، 41-52.

3- (2017). المصادر العربية للنقد العبري الوسيط كتاب المحاضرة والمذاكرة لموسى بن عزرا نموذجا .*حوليات التراث: جامعة مستغانم، ع17* ، 79- 87.

4- توفيق، توفيق على. (2013). القيم الوعظية فى شعر موسى بن عزرا .*كتابات: الجمعية المصرية للدراسات السردية، ع9* ،425-485.

5- الجرجاني، عبد القاهر.(ب. ت) . أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة،

6- حتي، فيليب. (1930). أسامة بن منقذ .*(2) مجلة المجمع العلمي العربي: المجمع العلمي العربي، مج 10، ج 10* ، 592-603.

7- حقي، أحمد معاذ بن علوان. (2008). أثر عزرا في الديانة اليهودية .*مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، مج 23، ع 75* ، 115*221* – -

8- الرازي، محمد. (1999). معجم مختار الصحاح باب العين مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد،المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط 5.

9- عزرا، بن موسى.(2001). المحاضرة والمذاكرة، ترجمة عبد الرزاق أحمد قنديل: القاهرة. مركز الدراسات الشرقية.

10- القرعان، فايز. (2019)علم البيان: إربد. عالم الكتب الحديث.

11- محمد، وسن صادق عباس. وعسكر، حيد إسماعيل. (2021). المقاييس الأسلوبية في كتاب البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ .*مجلة العلوم الانسانية: جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج28، عدد خاص* ،1-12.

12- مطلوب، أحمد. (1983) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الجزء الأول. مطبعة المجمع العلمي العراقي.

13- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1999م)، لسان العرب، ط3، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ، محمد صادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي

14- النعساني، طاهر. (1930). أسامة بن منقذ .*مجلة المجمع العلمي العربي: المجمع العلمي العربي، مج 10، ج 4* ،230-237

14- الهدلق، محمد. (2005). موقف موسى بن عزرا من البيان العربي .*جذور: النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج 9، ج 21* ،57-98.

ثانيًا: المراجع الأجنبيَّة

1.יוסף סד *משה בן עזרא בתרגיל של שילוב תרבויות ישראל וישמעאל - כללי*

.2024 /1 /17 .https://wwwhaaretz.co.il/misc/1.784441 17.08.2011]

2.פרקים בתורת השיר לאלעזר בן יעקב הבבלי *https://www.ybz.org.il/?CategoryID=687&ArticleID=3307#.YcXmdGiZPIV*

الأمكنة الأعلام في الشعر العربي القديم
بين إعادة الصياغة واستبطان المعنى

The realistic places in ancient Arabic poetry
Between reformulating and internalizing meaning

عمارة الجدّاري
جامعة المنستير(تونس) amarajeddari@yahoo.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023 / 10 /29	2024 / 02 / 18	2024 / 06 / 01

ملخص البحث

لم تكن الفضاءات المرجعيّة أو الأمكنة الموسومة بالعلمية في الشعر القديم مجرد محيل على مرجع جغرافي بعينه رغم تواترها على هذه الشاكلة في المعاجم اللغوية والموسوعات الجغرافية وأعمال الشراح والدارسين. إنّما يحضر المكان العلم في النص الشعري ليستبطن المعنى الذي يروم الشاعر تحقيقه. فيكون المكان حماسيا ويكون عاطفيا ويكون مثيرا لشحنات العواطف والحميّة... فيتجلى في شتى المواضع سعي الشاعر إلى إعادة صياغة هذه الأمكنة حتى تلائم المعنى المقصود.

الكلمات المفاتيح:_المكان العلم، الفضاءات الجغرافية، الواقعي، إعادة الصياغة، استبطان المعنى.

Abstract

The places labeled scientific in ancient poetry were not merely a reference to a specific geographical reference. Despite its frequency in linguistic dictionaries, geographical encyclopedias, and the works of commentators and scholars. The place of knowledge is present in the poetic text to internalize the meaning that the poet seeks to achieve. The place is enthusiastic, emotional, and exciting... and the poet's effort to reformulate these places so that they suit the intended meaning is evident in various places.

keywords: Place; Realism, Reformulating, internalization of meaning

1. المقدمة:

يشهد الشعر العربي القديم تعبئة للأمكنة الأعلام حتى صارت مرجعا للتحديديْن اللغوي والجغرافي في سائر المعاجم بمختلف أصنافها الموسوعيّة والمختصّة... وقد طُرِحَتْ في هذا الباب مواقف نقديّة متنوّعة بين داعم للمرجعيّة التاريخيّة والجغرافيّة للأمكنة الأعلام في النصّ الشعريّ ورافض لها. بل ثمّة من يبحث في شعريّتها ويستحسن حضورها وتشكيلها الفنّي، ومن كان رافضا مستهجنا معتبرا هذه المرجعيّة قصورا لشعريّة النصّ وحدّا من مقدرة الشاعر.

وفهم هذا الحضور يستدعي بحثا عميقا في مختلف تشكّلاته للخروج من دائرة الجدل بين شرّاح النصوص الذين استندوا في تحديدها إلى معاجم لغويّة وجغرافيّة، وأصحاب هذه المعاجم الذين استأنسوا بأبيات شعريّة لتحديد تعريفات هذه الأمكنة...

ولعلنا في الاستئناس بإعادة الصياغة يمكن الخروج من العقبة التي جمّدت البحث في هذه الأمكنة ومسألة تعيينها العلمي الجغرافي وحضورها في نصّ يبتغي الشعريّة... فمبحث إعادة الصياغة يتنزّل في زخم مفهومي متعدد ومتنوع يعسر معه التدقيق والإقرار. ولما كان يجري لسانيا في خانة الشرح والتفسير والتأويل وإعادة تكوين خطاب ما، حاولنا الاستئناس به في قراءة حضور الأمكنة التي تحمل أسماء أعلام لها مراجعها الواقعية والجغرافية. فالمكان المتعين في النص الذي يحمل في اسمِهِ مرجعَهُ الجغرافيَّ لا يتنزل في النص الشعري بنفس مواصفاته الواقعية والجغرافية بل يأخذ تشكلات جديدة تحتكم إلى تصرف الشاعر. فكان قائما على إعادة التشكيل بصور جديدة. وهذا المنحى يجعله قضية من قضايا الإبداع الأدبي التي لا تسقط في النص بابا انعكاسيا لما يدور في الواقع المتجسد والمتعين إنما يتنزل تحت مبحث إعادة الصياغة...

وسنولي اهتمامنا في عرض هذه الورقة إلى حضور الأمكنة في نماذج من الشعر القديم وسنتبين مظاهر إعادة تشكيلها وفق تصرف الشاعر الفنيّ ووفق المواضيع التي استدعتها والأغراض التي أسّست صياغتها. خاصة أنها لم تكن فضاءات موحية بمرجع واقعي إنما كانت علامة مستفيضة عن استبطان المعنى.

2.المكان العلم مفهوما:

المكان العلم هو كل مكان يحمل دلالته الجغرافية والواقعية. فيكون ثابتا في الواقع متجسدا دالاّ على حيّز جغرافيّ محدود. وعرّفه اللغويّون الاسم العلم بكونه الاسم الذي يعيّن المسمّى مطلقاً حسب قول ابن مالك في الألفيّة[1].

ويدلّ على مسمّاه بذاته دون قرينة خارجة عن لفظه[2]. ويدلّ على أحد أسماء الجنس، فيطلق على الانسان والبلاد والحيوان على منهج الإحالة إذ تتمثّل وظيفة اسم العلم في "الإحالة على الشخص أو المكان أو الزمان أو التعيين"[3]... ويكون مفردا أو مركّبا. وقد اكتسبت أسماء الأعلام خصوصيّة ومعرفيّة. وقد اهتمّت الدراسات المتنوّعة باسم العلم فتنوّعت مجالاته. وقد بدا حضوره في الشعر العربيّ القديم لافتا وتشكّله متفاعل مع معاني النصّ ومقاصد الشاعر[4]. فكان خاضعا لإعادة صياغة تخرجه من مواصفاته وما تواضع عليه الجغرافيّون والدارسون إلى تشكّل جديد منبعه غرض النص ومواضيعه ومعانيه.

3. مظاهر تشكل المكان العالم

المكان العلم ثابت في الواقع متعين بصفات جغرافية تميزة وتفرده عن سائر الأماكن الاخرى والنص الشعري يتوسله - حتى إن كان موضوعا وصفيا- يعيد صياغته ليتشاكل مع المعنى والمقصد الذي يَرُومُ تحقيقه... فينشأ في القسم الطلليّ مشحونا بالعواطف واستثارة الوجدان، وفي الشعر الحماسي مؤسّسا للحماسة واسستنفار الحميّة وفي الشعر المذهبي مؤرّخا لضحايا المذهب ومعتنقيه المقتّلين المشرّدين في سبيل العقيدة والمذهب.

1.3. المكان العلم واستثارة الوجدان في الطلل:

يُعدُّ ارتباط الأطلال بالأمكنة الأعلام من أوكد ما تشكّل من علاقات في الشعر القديم. فيستحيل وجود مقطع طللي خال من حضور الأمكنة الأعلام ولما كان الطلل موصوفًا حالة شعرية وشعورية حضرت الأمكنة الأعلام في صياغة جديدة، حيث يعيد الشاعر تركيبه ليوافق وجود طلل موصوف.

فتواترت الأمكنة الأعلام الدالة على أحياز جغرافية معلومة في أطلال المعلقات بل ندر أن خلت معلّقة منها، وهو ما يكشف عن علاقة مخصوصة بين الشاعر والمكان فـ"المتبصر للشعر الجاهلي يستنبط تلك العلاقة التي سادت بين المكان والشاعر والتي هي قصة حب علقت في أذهان الجاهليين، وأضحت وثيقة تاريخية يذيب بها الشاعر ما علق به من حرقة الزمن الذي أفسد طعم ولذة هذه الحياة، حينئذ يلجأ الشاعر إلى إعادة حكايتها وقصها ليجلي الهموم والأدران التي تهاوت على فؤاده"[5] لكن هذا الحكي المعاد لا يتوقف عند الأمكنة بصفاتها بل بما أنتجته العاطفة من أحاسيس وعواطف ووجدانيات. فالشاعر لا يصف مكانا علما يدلّ على حيّز جغرافيّ بل يصف ما به من مشاعر حيال هذا الفضاء وما يثيره في نفسه من شجن الذكرى. فإثراء المطالع بالأمكنة الأعلام ليس انعكاسا مباشرا للواقع إنّما هو إعادة صياغة فريدة يستدعيها مشاعر الشاعر ووجدانه فكان الشعراء يعيدون صياغة الأمكنة الأعلام لتناسب ما يخالج نفوسهم من استثارة الطلل لوجدانهم. فـ"التأمّل في أسرار التفاعل الوجداني بين المكانيّة والشاعريّة، والإغراق في التفكير في حقائقه يجعل المتلقّي يقف عند حدود الإبداع الشعريّ الدالّ على الأساس الفطريّ الذي تقوم عليه حياة الشعر"[6]

فالبعد الشاعري في تفاعله مع ما هو وجدانيّ في حياة الشاعر من شأنه أن يصبغ من المعاني والأحوال على الأمكنة الأعلام فيصوغها الشاعر بما يمكن أن يلائم المعنى المقصود، فتكون الشاعريّة متفاعلة مع الأمكنة متصرّفة فيها لأنّها تنفث فيها وجدانها وعواطفها فـ"الشاعريّة تتوهّج هوى لتقطن المكانيّة لبّها العلاقة بين الشعر والمكان علاقة عميقة الجذور متشعّبة الأبعاد. ومن خلالها قد يصبّ الشاعر على مكان ما طابعا خاصّا..."[7] فالأمكنة الأعلام في المطالع الطللية محكومة بوجدان الشاعر وما يضفيه من أحاسيس. إذ يشحن امرئ القيس مطلعه بأمكنة متعددة في قوله [من الطويل]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ** بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها ** لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ[8]

فاستدعى أمكنة متنوعة كان للدرس النقدي من تعددها وتواترها مواقف شتّى. وتواترت تباعا "سِقْط اللِّوَى" و"الدَّخُول" و"حَوْمَل" و"تُوْضِح" و"المِقْراة" و سرت بعده نحوا يُنْتَحَى وسبيلا يُسْلَكُ. ولّا كانت هذه الأمكنة دالّة

على أحياز جغرافيّة حدّدها أصحاب المعاجم الجغرافيّة واستدلّوا عليها بالشواهد الشعريّة. واستدعى عنترة أمكنة في قوله [من البسيط]:

هَلْ غَادَرَ الشُعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدّمِ ** أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَارَ بَعْدَ تَوَهُّـمِ

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَوَاءِ تَكَلَّمِي ** وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقتِي وَكَأَنَّـهَا ** فَدَنٌ لِأَقْضِي حَاجَةَ المُتَلَـوِّمِ

وَتَحُلُّ عَبْلَةُ بِالجَوَاءِ وَأَهْلُـنَا ** بِالحَزْنِ فَالصَمّانِ فَالمُتَثلّـمِ[9]

فتتعدّدت أمكنة أعلام مثل "الجَوَاء" و"الحَزْن" و"الصَمّان" و"المُتَثلّم" ولهذه الأمكنة تواترها في المعاجم الجغرافيّة لكن الشاعر رغم التصريح بموضع الطلل فيها فإنّه لا يتعامل معها بصفتها الجغرافيّة. ويستدعي الحارث أمكنة في مطلعه [من الخفيف]

آذَنَتنَا بِبَينِها أَسمَـاء ** رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنهُ الثَّواءُ

بَعدَ عَهدٍ لَنا بِبُرقَةِ شَمَّاءَ ** فَأَدنَى دِيَارِها الخَلْصَاءُ

فَالمحيّاةُ فَالصّفاح فَأَعْنَاقُ ** فِتَاقٍ فَعاذِب فَالوَفـاءُ

فَرِيَاضُ القَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُـ ** رِبُبِ فَالشُعبَتَانِ فَالأَبْلاءُ[10]

فـ"بُرقَة شَمَّاءَ" و"الخَلْصَاءُ" و"محيّاةُ" و"الصّفاح" و"أَعْنَاقُ فِتَاق" و"عاذِب" و"الوَفاءُ" و"رِيَاضُ القَطَا" أمكنة أعلام دُلَّ بها على أحياز جغرافيّة معلومة في الواقع المعيش.

واستدعى النابغة مكانين في مطلع معلّقته في قوله [من البسيط]:

يا دارَ ميَّةَ بالعَلياءِ فالسَّندِ ** أقوَت وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ[11]

فـ"العَلياءِ" و"السَّند" مكانان علمان لهما دلالتهما في المعاجم الجغرافيّة.

واستدعى لبيد بن ربيعة أمكنة في قوله [من البسيط]:

عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها ** بِمَنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُـها

فَمَدافِعُ الرَيّانِ عُرِّيَ رَسمُها ** خَلَقاً كَما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها[12]

فـ"مَنىً" و"الغولُ" و"الرِجامُ" و"مَدافِعُ الرَيّانِ" أمكنة أعلام أرجعها الشرّاح إلى جبال وفضاءات جغرافيّة.

ويستدعي زهيّر أمكنة في مطلعه في قوله [من الطويل]:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ** بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّـمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ** مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ[13]

فدلّ حسب الشرّاح ومحقّقي شعره بـ"حَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ" و"المُتَثَلّم" و"الرَّقْمَتَانِ" على أمكنة أعلام بعينها.
واستدعى طرفة في مطلع معلّقته مكانا علما في قوله [من الطويل]:

لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ**[14]

فاتّفق الشرّاح على أنّ "برقة ثهمد" مكان علم متعيّن بدلالته على حيّز جغرافيّ محدّد.
واستدعى عبيد بن الأبرص في مطلع معلّقته أمكنة أعلاما في قوله [من البسيط]

أقفرَ من أهلهِ مَلْحوبُ ** فالقُطبيَّات فالذَّنوبُ[15]

فكان شرّاح المعلّقة وأصحاب المعاجم يحدّدون و"مَلحوبا"و"القُطبيَّات"و"الذَّنوبُ" أمكنة أعلام لها تحديدها الجغرافيّ.

إنّ الأطلال التي تشكّلت فضاءات دارسة إلاّ من آثار الحبيبة وقبيلتها قبل رحيلها وتحوّلها إلى مكان آخر. والشاعر يشحن وصفها بأمكنة أعلام. ولعل في التناول لتعديد الأمكنة أمر "استنبطه الشاعر الجاهلي، فحرّك وجدانه وأظهر تمسكه الشديد به، لأنه تعلقَه يُمَثْلُ مَقَرًا قبليا يتطلب حمايته والذود عنه في كل لحظة"[16]

ولا تأكيد على أنّ الطلل موجود بهذا المكان عينه طالما أن حضور الطلل في ذاته سنة شعرية متوارثة... بل إنّ تعدّد الأمكنة والمواقع يعطي هذا الطلل معاني مرتبطة بالحبيبة والقبيلة فـ"ليس الطلل أحجارا أو رمادا وملعبا لليهم عن هجرة الحبيبة، وإنما هو كوة تُطل على الأيام الخوالي وهنيهات الهناء وخيلاء الشباب"[17]

ولم يكن حضور المكان العلم بمواصفاته المحمولة على التعيين الدقيق إلا لإثبات حال وجدانية يؤثثها البكاء والشكوى. فالمكان "يحيل في الشعر الجاهلي إلى أبعاد دلالية رسمت معالمها على الأفق النفسي والاجتماعي والتاريخي، فنحتت هذه الأماكن صورها على مخيلة الشاعر، ولعل شعراء الجاهلية واعون بهذه الدلالات عند استعمالهم للأعلام الجغرافية مثلما استعملوا الأشكال الطبوغرافية"[18]

والدعوة الصريحة إلى الوقوف أو التعريج والعوج على مكان آثار الحبيبة وأهلها فالمكان الذي يحمل صفة التعيين لم يعد في النص مجالاً واقعيا أو حيزا جغرافيا انما انزاح إلى زخم وجداني يحتمل الشكوى والبكاء والتأثر وحوار الحزن والتجمّل وهي حالات وجدانيّة نرتدّ إلى "أولا إلى التغيير الذي طال كل أرجاء الديار، وتحولها إلى مركز للعبث والنكران والنسيان حين تطأها أقدام الحيوانات، مما يدفع الشعراء إلى إطلاق صرخة للاستغاثة من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه لدى الذات الإنسانية الجاهلية"[19]. فأعيدت صياغة المكان العلم المتعين بعلميّته في المعاجم اللغوية والجغرافية، لكن الشاعر لا ينزله مرجعا جغرافيا إنّما يحققه في النص باعتماد إعادة الصياغة بصفته شحنة وجدانية وحالة شعوريّة. ومما يزيد البعد الوجداني وضوحا ارتباط المكان بالمرأة فـ"الشعر الجاهلي شاهد على الانصهار الحاصل بين المكان والمرأة فإذا فقد أحدهما تظل المعادلة غير متوازنة، لذلك تعاطى الشاعر مع هذا الموضوع بحرص شديد، فاغتنم تواجد المرأة في هذه الأماكن ليسقط عليها دلالات ارتبطت بالخصب والديمومة، فارتمى بين أحضانها راسما علاقة عزلية نسجت خيوطها في مواقع مختلفة، فحركت وجدانه وتفاعل معها، وأقبل يحاكي ما حفل به المكان من نماء وماء ليقربه أكثر من حبيبته"[20]

فلم يخلُ المطلع الطللي من تفاعل بين الشاعريّة والمكانيّة وكان هذا التفاعل نابعا ممّا يضفيه الشاعر من وجدانه فكان "التفاعل الوجدانيّ ينصع على حقيقته في تصوير الحياة التي يحياها الشعراء لا تشوبها أوضار والدنايا مشحونة بالعزّة حاولوا إثبات إحساسهم العميق بالولوج في أجواء ذات إحساس مرهف"[21]

وهذا الإحساس وما ينطبع من وجدانيّات قد انسحب على الأمكنة حتى "أخذت الصدارة في تطويع ذوق الشاعر إلى كسب إحساس خفيّ يومئ إلى علاقة هيام مع الرحاب التي كان يرتع فيها يصوّر مشاعره من خلال لهفته إلى هذه الأماكن حتى يكاد الشوق يتعب من الحنين. إنّع يحاور الطلل حين أطلعته الآلام ما خلفته السنون من خطوب، يريد أن يحتضن المكان والزمان"[22].

إنّ الأمكنة الأعلام الحاضرة في النصّ الشعريّ الدالّة في الواقع على أحياز جغرافيّة معلومة يُعادُ صياغتها لتناسب مقصد الشاعر وموضوعه الشعريّ. فكان تنزّلها في المقاطع الطلليّة تعبيرا عمّا يثيره الطلل في وجدان الشاعر في علاقته بالحبيبة والقبيلة وتعلقه المكان وما تؤجّجه في نفسه حرقة الفراق. فخضعت بالتالي الأمكنة الأعلام إلى إعادة الصياغة.

وقد تتجاوز إعادة صياغة الأمكنة المطالع الطلليّة إلى القصائد الحماسيّة..

2.3. المكان العلم والتشكل الحماسي:

لَمْ يَنْأَ الشعر العربي المدحي الحربي - خاصة - من الأبعاد الحماسية التي كان مدارها الحرب والسلاح - عدة وعتادا -. والحماسة مفهوم قديم متواتر في الدرس النقديّ القديم ونظمت فيه مؤلفات ومصنفات كثيرة... وكان لهذا الاهتمام أثره فأغنت المفهوم وأثرت الأشعار وارتبط تعريفها بالشعر في اعتبارها فنّا "من فنون الشعر... وفيها يتناول الشعر الفخر والاعتداد بالنفس أو القبيلة أو يستثير الهمم ويحمّسها للحرب"[23] وبالدوافع النفسيّة في وصفها "تحفّزا نفسيّا للبذل والدفاع والوثوب والفداء كلما شعر المرء بحاجة إلى واحد من التحرّكات الأربعة على أن يكون تحرّكا عفويّا"[24] وبالمعاني الحربيّة في عدّها "أبياتا عن البسالة في الحرب" حسب تعريف شارل بلاّ [**Charles Pellat**] في دائرة المعارف الاسلاميّة.

ولمّا كانت الحماسة موضوعاً أثيلاً كانت مشحونة بالأمكنة الأعلام المتعيّنة في المعاجم اللغوية والجغرافية والمتحققة في الواقع والتاريخ. ولعلّ أبرزها ما شحنت به أشعار أبي تمام وأبي الطيب المتنبي فضلا عن سائر الشعراء في عصور مختلفة لكن الشاعريْن العباسيّيْن كان لهما الأثر البليغ فى صياغة الأبعاد الحماسية مع ممدوحيهم..

وكان تبعا لذلك حضور لافت للأمكنة الأعلام. وإن كان لهذا النوع من الشعر بعده التاريخي لارتباطه بالوقائع الحربية فإن الشعراء لا يتوقفون عن صفات الأمكنة المخصوصة المحددة آنفا جغرافيا وتاريخيا إنما يكسبونها صفات جديدة فيعيدون صياغتها بإكسابها صفات جديدة تنأى بها عن الواقعي وتؤثثها بصفتها عالما متخيلا.

ولعل أشهر الأمكنة الأعلام "الحدث" في مدحية المتنبي في سيف الدولة و"عمورية" في مدحية أبى تمام... حيث عمد الشاعران إلى إعادة صياغة هذين المكانين

يقول المتنبّي مادحا سيف الدولة الحمدانيّ إبّان فتحه قلعة الحدث.

هل الحدث الحمراء تعرف لونها * وتعرف أيّ الساقيين الغمائم[25]**

فالـ"حدث" اسم علم عرفها ياقوت في معجمه بقوله"بُحَيرَةُ الحدَثِ: قرب مرعش من أطراف بلاد الروم، أولها عند قرية تعرف بابن الشيعيّ، على اثني عشر ميلا من الحدث نحو ملطية ثم تمتدّ إلى الحدث. والحدث قلعة حصينة هناك"[26]

وقد قامت على جبل يعرف بالأحيدب "تصغير الأحدب: اسم جبل مشرف على الحدث، بالثغور الرومية"[27] لذلك اشتهرت بحرب سيف الدولة الحمداني مع الروم واستردادها بالخطي والسيوف. "فمن أهمّ المعارك التي جرت بين سيف الدولة والروم معركة خرشنة ومعركة الحدث الحمراء ومعركة الدرب... وقد سجلها المتنبي في شعره أروع تسجيل"[28].

ولمّا كانت عنصرا رئيسا في الشعر الحربيّ مثّلت في الشعر الحماسيّ مكانا أثيلا لكن الخصائص الجغرافيّة قد تصرّف فيها الشاعر فأعاد صياغة المكان وفق الأبعاد الحماسيّة التي يروم تحقيقها. فلم تعد مكانا ثابتا بصفاته إنّما تصرّف الشاعر في صياغته. فالقلعة التي تجري مجرى الثغور لموقعها على أطراف بلاد الروم. وكانت تعرف بالحدث الحمراء لحمرة تربتها. لكن هذا اللون الأحمر الذي اتّصفت به القلعة عند الجغرافيّين لحمرة تربتها جعله الشاعر لونا لدماء الأعداء وقد أثخن الممدوح جراحهم فاتحا القلعة. فقد كانت مطيرة سحاب ولما جاءها المعتصم فاتحا سقاها من جماجم الأعداء "ولمّا دنا منها سقتها الجماجم"

وذكر موضعها على جبل الأحيدب ولم يحضر بصفاته بل حضر بما فعله الممدوح في الأعداء في قوله [من الطويل]

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلّهِ * كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدّراهمُ[29]**

فلم يحضر الجبيل بخصائصه حيّزا جغرافيّا إنّما بما اكتسبه ممّا أراد الشاعر توصيفه.

إنّ الشاعر وإنْ احتمل نصه تأريخا لوقائع فإنه يروم إعادة الصياغة لتتشاكل الموصوفات والأسماء مقاصده الحماسية التي يشحن بها مدحياته الحربية فيضفى المكان العلم بما يكسبه من إعادة صياغة شحنة معنوية حماسية تحقق الوثبة والاندفاع والتحفز للقتال.

لم تجر الأمكنة الواقعيّة على العلميّة والملامح الجغرافيّة التي حدّدها أصحاب المعاجم اللغويّة والجغرافيّة إنّما أكسبها الشعراء تحويلا لتناسب مقاصد النصّ الشعريّ وصياغاته فتصرّفوا في ملامحها وغيّروا أبعادها. فناسبت أبعادا حماسية.

وتزداد إعادة الصياغة للأمكنة الأعلام والأحياز الجغرافية وضوحا في الشعر المذهبي.

3.3. المكان العلم والصياغة المذهبية:

حفلت القرون الأولى بالشعر المذهبي الذي أثراه السياق الحضاري وما أفرزه من صراع مذهبي... ولما كان لهذا السياق تأثيره في النتاج الشعري المتلون به وبأفكاره وأحداثه ارتبط كل مذهب بأمكنة أعلام تميزه... ولئن كان لهذه الأمكنة مرجعيتها الجغرافية وتحديدها في الواقع فإنها في النص الشعري المذهبي تخضع لإعادة الصياغة، بل صارت الأمكنة لتواترها وشدة ارتباطها بمذهب معين معبرة عنه. ولئن كانت في المستوى التاريخي

معبرة عن وقائع مذهبية معينة فإنّ النصّ الشعري يكسبها صياغة جديدة فتضحى الأمكنة الأعلام شحنة عاطفية تستثير الحمية المذهبية استبكاء على فقيدي المذهب وزعمائه واستنكارا لما تعرضوا له فى هذه الوقائع من تقتيل وتشريد. ولمّا كان مذهبا الشيعة والخوارج أكثر المذاهب حضورا في الصراع الحضاري والعقائدي والحربيّ كانوا أكثر نتاجا شعريّا، فبحثنا في تشكّل الأحياز الجغرافيّة والأمكنة الأعلام فيهما.

فأُسْتُدْعِيَتْ في النصّ الشعريّ الخارجي أمكنةٌ واقعيّةٌ مثل [بابليون][30] و[كسكر][31] و[ميجاس][32] و[النخيلة][33] و[الجوسق][34]. وكان لهذه الأمكنة ارتباطها بأحداث هلك فيها الكثير من زعماء المذهب ومؤيّديه. واستطاع من خلالها الشعراء إعادة صياغة الأمكنة.

فيذكر عمران بن حطان قوما من الأزد نفاهم زياد بن أبي سفيان من البصرة إلى مصر قائلا [من الطويل][35]

"فَسَارُوا بِحَمْدِ اللهِ حَتَّى أَحَلّهُمْ ** بِبَلْبُونَ مِنْهَا المُوجِفَاتُ السَوَابِقُ

فَأَمْسوا بِحَمْدِ اللهِ قَدْ حَالَ دُونَهُمْ ** مَهَامِهُ بِيدٌ وَالجِبَالُ الشـوَاهِقُ"

فاستدعى [بابليون] وهو مكان مرجعيّ يحيل على ديار مصر بصفة عامّة. لكنه لم يحدّده تجديدا جغرافيّا إنّما لحفه بيافطة الحدث التاريخيّ فربطه بوصف حال زعماء المذهب ومعتنقيه وقد نفاهم زياد بن أبي سفيان إلى ديار مصر. وكان قد شهد هؤلاء زمن عبد الملك بن مروان كثيرا من التشتيت والتفريق. فنهض به المكان العلم [بابليون] بمقصد مذهبيّ. وهو ما يمكن أنْ يتجلّى في قول عمران بن حطان في وقفة للخوارج عند ميجاس وأميرهم أبي بلال [من الوافر][36]

"وَأُخْوَةٌ لهُمْ طابَتْ نُفُوسُهُمْ ** بِالمَوْتِ عِنْدَ التِفَافِ النَاسِ بِالناسِ

وَالله مَا تَرَكُوا مِن مَنْبَعٍ لِهُدَى وَلا رَضُوا بِالهُوَيْنا يَوْمَ مِيحَاسِ**

فربط الحدث الرئيس الذي اشتدّ فيه القتال بين الخوارج والوالي عباد بن الأخضر التميمي مختزلا في علامة زمنيّة "يوم" بموضع [ميجاس] وهو موضع في الأهواز كما يحدّده صاحب معجم البلدان[37]. فلم تكن قيمة المكان العلم في خصائصه الجغرافيّة إنّما في النهوض بأحداث ظلت تثري قريحة الشعراء الخوارج وتذكّر بمآثر المذهب. ولم يحظ أبو بلال بحسن الذكر والتأبين وذكر المناقب فحسب بل كان العديد من زعماء المذهب موضع افتخار مثل محرز بن هلال الذي يرثيه عبيد بن هلال الشيباني مستدعيا أمكنة مخصوصة على علاقة بالوقائع بقوله[من الطويل][38]:

"إذَا ذَكَرْتُ نَفْسي مَعَ الليْلِ مِحْرِزًا ** تَأوّهْتُ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ إلَى الفَجْرِ

سَرَى مِحْرِزُ وَاللهُ أكْرَمَ مِحْرِزًا ** بِمَنْزِلِ أصْحَابِ النخيلَةِ وَالنَهْرِ"

وكان الشاعر يرثي أخاه وقد خرج للمبارزة بعد مقتل الحصين بن مالك وهو يدعو الله "اللهم إني أسألك الجنة ومرافقة أهل النهروان ثم حمل فلمْ يزلْ يقاتل مقبلا غير مدبر حتى قتل"[39]، واستدعى [النخيلة][40] باعتباره موضعا يثبت الحادثة ويبعث في النفس تحفيزا للقتال وحميّة من أجل المذهب. وكانت أهمّيّة هذا الموضع بالغة بما حمله من دلالات تحيي الذكرى وتغذي المذهب ممّا جعله مكانا عابرا للنصوص الشعريّة المذهبيّة الخارجيّة ومدوّناتها. إذ يتجلى في قول قيس بن الأصمّ [من البسيط][41]:

"إنّي أدِينُ بِمَا دَانَ الشرَاةُ بِهِ ** يَوْمَ النخيلَةِ عِنْدَ الحَوْسَقِ الخَرِبِ"

فكان يرثي الخوارج الذين قُتلوا في هذه الواقعة. واستدعى في ذلك مكانيْن علميْن [النخيلة][42] و[الجوسق][43] وهما من الأماكن التي تختزل وقائع الخوارج مع ولاّة بني أميّة وما تسبّب في تشتّتهم وتقتيلهم. فيرتدّ المكان العلم في الشعر المذهبي الخارجيّ إلى وقائع شهدها زعماء المذهب ومعتنقوه. فكان ناهضا بدلالاته وتفاعلاته وما يمكن أن يمثل التحفيز للقتال والتفاعل العاطفي مع المذهب عموما.

إنّ الأمكنة لم تحضر في النصّ الشعريّ بخصائصها الجغرافيّة إنّما تشكّل من معان تميّزه وتتنزّل في صياغة جديدة تنأى به عن التحديد الجغرافيّ.

أمّا النصّ الشيعيّ فقد تواترت فيه أمكنة لها بعدها المرجعيّ مثل [العراق] الذي حضر أربعا وسبعين مرّة للاثنين وعشرين شاعرا، و[الشام] الذي حضر تسعا وثمانين مرّة لتسعة عشر شاعرا، و[صفّين] الذي حضر تسع عشرة مرّة لعشرين شاعرا[44] فضلا عن أمكنة ومواضع عديدة مثل [المجازة][45] و[السند][46] و[الأضوح][47] و[المذاذ][48] و[قبين][49] و[جيّ][50] و[مكران][51] و[الخجندة][52]

ولئن كانت هذه الأمكنة توثّق أحداثا تتعلّق بما عاناه أصحاب المذهب ومعتنقوه من تقتيل وتشتيت فإنّ الشاعر ينزّلها في نصّه بشكل مغاير.

ولمّا كان النص الشعريّ المذهبيّ الشيعيّ متفاعلا مع حيويّة العقيدة الشيعيّة وسيطرتها على معتنقيها محتلّة أكثر أنواع نواحي التفكير. وارتبط بعواطف متنوّعة تؤثّر في إنتاج الشعر المذهبي الشيعيّ. وتتمثّل هذه العواطف في الغضب ممّا حلّ بهم وبزعمائهم وأئمّتهم، وفي الحزن لما حلّ بهم من نكبات عظيمة ومصائب متنوّعة وفي الحبّ لآل البيْت والإعجاب بهمْ والولاء لهم. وقدْ أنتجت هذه العواطف نصّا تتشابك فيه العواطف فكان شعرا يفيض نقمة وغيضا ويتدفّق دمعا وشجنا ويترنّم وفاءً لآل البيْت الأمجاد والأئمة المتقدّمين. وكان المكان العلم متشاكلا مع هذه العواطف والمعاني. فأسّس بعدا يحمل الذكرى ويؤسّس لتاريخ المذهب. فنهض بوظيفته الدلاليّة والإنشائيّة التي تنعكس وظيفة مذهبيّة تحفظ ذاكرة مخصوصة يتوارثها معتنقو المذهب يتواترون من خلالها فضائل آل البيت ومناقبهم وما تعرّضوا له من قمع واضطهاد وتشتيت وتقتيل. وكثيرا ما تتنزّل هذه الأحداث مرتبطة بما يعانيه الشاعر من دوافع ذاتيّة فارتبط الذاتيّ بالجماعيّ مثل ما يتجلّى في قول عبد الله ابن الطفيل [من الطويل][53]:

"وَلاَ تَعْذِلِينِي فِي الفِرَارِ فَإنّنِي ** عَلَى النفْسِ مِنْ يَوْمِ **المَحَازَةِ** عَاتِبُ"

فاستدعى المكان العلم [المجازة] الذي تحدّده المعاجم مكانا في أرض مكّة[54]، للنهوض بدلالات متعدّدة. وتحيل هذه الدلالة على يوم بعينه قتل فيه الكثير من زعماء الشيعة فكان المكان سبيلا إلى ذكر القتلى وشهداء المذهب.

وكان المكان العلم مثيرا لعاطفة الذات الشاعرة الجياشة ويمكن أنْ يتجلّى ذلك في قول الحجاج العذري [من الوافر][55]

"أحِبّك مَا طَابَ الشَرَابُ لِشَارِبٍ ** وَمَا دَامَ فِي **بُرَقِ الصرَاةِ** وُعُورُ"

و[الصراة] مكان علم حدّده معجم ياقوت[56]. فكان ارتباط المكان بصفات مخصوصة تميّزه وتكسبه وجوده. فربط الشاعرُ حالة عاطفيّة تتلبّس به أيّما تلبّس شأن تلبّس المكان [براق الصراة] بالصعوبة والوعورة. فكان

لهذا البناء المتوازي بيْن الذات وإحساسها بالحبّ والمكان ووعورته دَوْرَهُ في بناء النصّ الإنشائيّ الذي يحتمل دلالة التعبير عن المذهب ويزداد هذا البناء المتوازي وضوحا في قول أشجع بن عمرو السلمي [من الوافر][57]:

"بِأَكْنَافِ الحِجَازِ هَوًى دَفِينُ ** يُؤَرِقُنِي إِذَا هَدَتْ العُيُون

أَحِنُّ إِلَى الحِجَازِ وَسَاكِنِيه ** حَنِينَ الأَلْفِ فَارَقَهُ القَرِين"

فاستدعى مكان الحجاز[58] للتعبير عن حال عاطفيّة متميّزة تعيشها الذات الشاعرة [هوى دفين+أحنّ] وفي شتى الأحوال يتشكّل إيحاء بدلالة المكان المذهبيّة. لكنّ أعشى همدان يجعل المكان أكثر تعبيرا عمّا يؤرق الذات الشاعرة في قوله [من البسيط][59]:

"ليتَ خيْلِي يَوْمَ الخَجَنْدَةِ لَمْ تُهَـ ** ـزَم وَغُودِرَتُ فِي المِكرّ سَلِيبَا"

فربط مكان [الخجندة][60] بيوم يثير عاطفته. واعتمد في ذلك أسلوبا إنشائيّا قائما على التمنّي [ليت] لأمر مستحيل الوقوع. وهو بذلك يستعيد ذاكرة استعادةً تقوم على التحسّر بعد هزيمة زعماء مذهبه في حربهم. فكان يتمنّى نصر خيله التي هُزمت. وتسبّبت الهزيمة في استشهاد زعماء مذهبه وتقتيلهم وتشتيتهم. وكان بهذا التحسّر يبعث في معتنقي المذهب مزيدا من التحفيز واستثارة العواطف.

نخلص ممّا تقدّم إلى أنّ المذهب يرتبط بأمكنة تنهض بدلالته وتعبّر عمّا مرّ به من أحداث ووقائع. وهو ما يمكن أنْ يوحي بالعلاقة الإنشائيّة في النصّ الشعريّ المذهبيّ بين المكان والدلالة. وجعلنا ذلك نقرُّ بأنّ المكان يحمل، ضمن ما يحمله من دلالات، أبعادا مذهبيّة. فكانت الأمكنة تتماثل مع طبيعة المذهب وخصائصه الدلاليّة. وكان اختيار الأمكنة متشاكلا مع الثقافة الفلسفيّة والكلاميّة التي تتحكّم في دلالة المذهب ومبادئه ودعوة زعمائه ومناصريه وتفتح أمامهم آفاق الخيال والتوجيه العقائدي. وفضْلا عمّا تنهض به الأمكنة الواقعيّة منْ دلالات مذهبيّة فإنّ المكان الشعريّ يمكن أنْ يتماثل مع التشكّل المذهبيّ فيعبّر عنه ويحمل أبعاده.

إن هذه الأمكنة الأعلام المتعينة في المعاجم الجغرافية واللغوية والمرتبطة بأحداث ووقائع لا تتنزل في النص الشعري بصفتها حيزا جغرافيا أو فضاءً إطارًا للأحداث إنما تكتسب صياغة جديدة تنأى بها عن التحديد الواقعي لتضحى شحنة عاطفية تستعيد الأحداث وتبرزها على مسار حياة المذهب وحياة معتنقيه. فيظل استذكارا للأحداث واستنفارا للهمم من أجل المقتَّلين والمشرّدين من زعماء المذهب، فبمجرد ورود المكان العلم في النص الشعري المذهبي يتحرك البعد الوجداني بشحناته العاطفية حبا في المذهب وزعمائه.

4. خاتمة:

يظل الشعر بمختلف أغراضه ومواضيعه ديوان العرب الذي ابتدعوه وأبدعوا فيه فأرّخُوا به حياتهم وحضارتهم وثقافتهم ومن المكونات التي أقامت نصوصه أمكنة أعلام تبدو من دلالتها المعجمية دلالة على الحيز الجغرافي الواقعي ذي المرجعية الثقافية الجمعية.

لكن النص الشعري -الذي يروم صياغة فريدةً للمعاني والسياقات وينأى عن التاريخي رغم إحالته عليه- لا يستدعي هذه الأمكنة للتأطير والتأريخ إنما يحدث فيها تصرفاً حسب قوانين إعادة الصياغة التي يسعى

الشاعر إلى تحقيقها حتى تواكب هذه الأمكنة الأعلام مقاصد الشاعر ومراميه. فتنزاح دلالة الأمكنة الاعلام إلى شحنات وجدانية وعواطف مذهبية وتحفّزات حماسيّة.

إنّ الأمكنة الأعلام في الشعر العربي القديم تخضع لإعادة صياغة وفق معاني النص وما يروم الشاعر تحقيقه.

فالمطلع الطللي الذي يشحن بالعواطف بعد رحيل الحبيبة وقبيلتها تحضر فيه الأمكنة لا لتحديد الطلل جغرافيّا إنّما ليكون إبرازا للتفاعل الوجداني الناشئ بين الشاعريّة والمكانيّة. فنحضر الأمكنة الأعلام لتعبّر عما يستثيره الطلل من وجدان الشاعر.

وتتشكّل الأشعار الحماسيّة ممّا تبعثه من تحفّز نحو الوثوب للحرب والقتال فكانت الأمكنة الأعلام متناغمة مع هذه الخصائص دون الاقتصار على الخصائص الجغرافيّة والتاريخيّة للأمكنة الأعلام.

وجرت الأمكنة في الشعر المذهبي متناغمة مع خصائصه في التذكير بقتلى المذهب ومعتنقيه الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل اعتناقهم المذهب. فكانت الأمكنة الأعلام محيلة إلى التوثب والتحفّز من أجل عقيدة المذهب وذكرى زعمائه وقياديه.

إنّ الأمكنة الأعلام في الشعر القديم لم تكن تأطيرا لحدث أو إبرازا لخصائص جغرافيّة متعيّنة سلفا إنّما قامت على إعادة صياغة في خصائصها ومميّزاتها لتناسب المعنى الشعريّ ومقصد الشاعر.

الهوامش

[1]- ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، 1980، الطبعة العشرون، [د.ت] جزء 1، صفحة 118.

اسْمٌ يُعَيِّنُ المُسَمَّى مُطْلَـقاً ** عَلَمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخِرْنِـقَا
وَقَرَنٍ وَعَدَنٍ وَلاحِـقِ ** وَشَذْقَمٍ وَهَيْلَةٍ وَوَاشِـقِ
وَاسْمَاً أَتَى وَكُنْيَتةً وَلَقَـبَا ** وَأَخِّرَنْ ذَا إنْ سِوَاهُ صَحِـبَا
وَإِنْ يَكُونَا مُفْرَدَيْنِ فَأَضِـفْ ** حَتْماً وإلاَّ أَتْبِعِ الَّـذِي رَدِفْ
وَمِنْهُ مَنْقُولٌ كَفَضْلٍ وَأَسَـدْ ** وَذُو ارْتِجَالٍ كَـسُعَادَ وَأُدَدْ
وَجُمْلَةٌ وَمَا بِمَزْجٍ رُكِّـبَا ** ذَا إنْ بِغَيْرِ وَيْهِ تَمَّ أُعْـرِبَا
وَشَاعَ فِي الأَعْلاَمِ ذُو الإِضَافَهْ ** كَعَبْدِ شَمْسٍ وأَبِي قُحَافَـهْ
وَوَضَعُوا لِبَعْضِ الأَجْنَاسِ عَلَمْ ** كَعَلَمِ الأَشْخَاصِ لَفْظاً وَهْوَ عَمْ
مِنْ ذَاكَ أُمُّ عِرْيَطٍ لِلعَقْـرَبِ ** وَهكَذَا ثُعَالَةٌ لِلثَّعْلَـبِ
وَمِثْلُهُ بَرَّةُ لِلـمَبَرَّه ** كَذَا فَجَارِ عَلَمٌ لِلْفَجْـرَه

2- نفسه، ج11، ص3.

[3]- عبد العزيز حي وفاتح بوزري، دلالة اسم العلم عند علماء العرب وفلاسفة اللغة الغربيين، مجلة قراءات، المجلد14، العدد01، ص1218.

[4]- عمارة الجدّاري، المكان في الشعر العربي القديم في القرنين الأول والثاني الهجريين من خلال نماذج، دار المنتدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2021، ص231.

[5]- أحمد بن بغداد، دلالة المكان في الشعر الجاهلي، المعيار،جوان2017، ص172.

[6]- عبد القادر بن فطة، التفاعل الوجداني بين المكانيّة والشاعريّة-قراءة نماذج من الموروث الشعري العربيّ، المدوّنة، المجلد08، العدد03، سبتمبر2021، ص2236.

[7]- نفسه2241.

[8]- الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دلر المعارف، الطبعة الخامسة، [د.ت]، ص8.

[9]- الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص296.

[10]- نفسه، ص335.

[11]- الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، تحقيق محمد موحي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيحوأولاده، مصر[د.ت]، ص512.

[12]- الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص507.

[13]- الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، ص236.

[14]- نفسه، ص118.

[15]- الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، ص535.

[16]- أحمد بن بغداد، دلالة المكان في الشعر الجاهلي، المعيار،جوان2017، ص171.

[17]- عبد الإله صائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1997، ص63

[18]- أحمد بن بغداد، دلالة المكان في الشعر الجاهلي ، ص170..

[19]- نفسه، ص172.

[20]- نفسه، ص174.

[21]- عبد القادر بن فطة، التفاعل الوجداني بين المكانيّة والشاعريّة-قراءة نماذج من الموروث الشعري العربيّ، المدوّنة، المجلد08، العدد03، سبتمبر2021، ص2229.

[22]- نفسه، ص2225.

[23]- أحمد مطلوب مصطلحات النقد العربي القديم ط1، 2001، ص115.

[24]- عبد اللطيف شرارة، أبو الطيب المتنبّي، الشركة العامّة للكتاب، الطبعة الأولى، تونس1988، ص64.

[25]- أبو الطيب المتنبي، الديوان، شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1986.، ج4، ص105.

[26]- نفسه، ج1، ص351.

[27]- نفسه،، ج1، ص118.

[28]- طه حسين، مع المتنبّي، دار المعارف، مصر، [د.ت]، ص166.

[29]- أبو الطيب المتنبّي، الديوان، الجزء الرابع، ص104.

[30]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، [د.ت.]، ج1 ، ص312 .

[31]- نفسه، ج 1، ص461.

[32]- نفسه ، ج5 ، ص241 .

[33]- نفسه ، ج5 ، ص278 .

[34]- نفسه ، ج2 ، ص185 .

35- إحسان عبّاس، شعر الخوارج، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1974، ص145.

[36]- نفسه، ص140-141

[37]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5ص241.

[38]- إحسان عبّاس، ، شعر الخوارج، ص95.

[39]- أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح المكتبة الرقمية للمراجع والمؤلفات العربية- مجالس/ بتاريخ 2012-12-10، ج 6، الصفحة 363

40- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5ص278، "ونُخَيْلةُ: موضع بالبادية. وبَطن نَخْلة بالحجاز: موضع بين مكة والطائف .ونَخْل: ماءٌ معروف. وعَين نَخْل :موضع؛ أبومنصور: في بلاد العرب واديان يُعرفان بالنَّخْلتَين: أحدهما باليمامة ويأْخذ إِلى قُرى الطائف، والآخر يأْخذ إِلى ذات عِرْق"

41- إحسان عبّاس، ، شعر الخوارج، ص125.

42- ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج5ص278

43- نفسه، ج2ص185

44- عمارة الجداري، المكان في الشعر العربي القديم في القرنين الأوّل والثاني من خلال نماذج، ص321.

45- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص165 .

46- نفسه ، ج3 ، ص267 .

47- نفسه ، ج1، ص215 .

48- نفسه ، ج5 ، ص88 .

49- نفسه ، ج4 ، ص309 .

50- نفسه ، ج 2، ص203 .

51- نفسه ، ج5، ص179 .

52- نفسه ، ج 2، ص247 .

53- الطيّب العشّاش، "ديوان أشعار التشيّع"، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1997.، ص128.

54- ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج5،ص65: "(...) في أرض مكة على طريق الحاج"

ويحدده ابن منظور، لسان العرب مادّة [ج،و،ز]، ج5 ص221.: "(...) الجوهري: ذو المَجاز موضع بِمِنًى كانت به سوق في الجاهلية، وقد ورد في الحديث ذِكْر ذي المَجاز، وقيل فيه: إنه موضع عند عَرَفات، كان يُقام فيه سُوقٌ في الجاهلية، والميم فيه زائدة، وقيل: سمي به لأَن إِجازَةَ الحاج كانت فيه. وذو المَجازَة: منزل من منازل طريق مكة بين ماوِيَّةَ ويَنْسُوعَةَ على طريق البَصْرَة."

55- الطيب العشاش، ديوان أشعار التشيّع، ص38

56- ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج1ص396 "(...) نهر بأرض العراق (...)"

ويحدّده ابن منظور مادة [ص،ر،ي] ج14 ص470 بقوله "والصَّراة: نهرٌ معروف، وقيل: هو نهر بالعراق، وهي العظمى والصغرى"

57- الطيب العشاش، ديوان أشعار التشيّع، ص72.

58- ياقوت الحموي، معجم البلدان ج2ص220.

ويحدّده ابن منظور مادة [ح،ج،ز] ج5 ص232 .بقوله: "والحِجاز: البلد المعروف، سميت بذلك من الحَجْز الفصل بين الشيئين لأنه فصل بين الغَوْر والشام والبادية، وقيل: لأَنه حَجَز بين نَجْدٍ والسَّراة، وقيل: لأَنه حَجَز بين تِهامة ونجد، وقيل: سميت بذلك لأَنها حَجَزَتْ بين نَجْد والغَوْر، وقال الأَصمعي: لأَنها احْتُجِزَتْ بالحِرَار الخمس منها حَرَّة بني سُلَيْم وحَرَّة واقِم، قال الأَزهري: سمي حِجازاً لأَن الحرارَ حَجَزَتْ بينه وبين عالية نجد، قال: وقال ابن السكيت ما ارتفع عن بطن الرُّمَّة فهو نَجْدٌ، قال :والرُّمَّة وادٍ معلوم، قال: وهو نَجْد إِلى ثنايا ذات عِرْقٍ، قال: وما احْتَزَمَتْ به الحِرار*) قوله «وما احتزمت به الحرار إلخ» نقل ياقوت هذه العبارة عن الأصمعي ونصه قال الأصمعي: ما احتزمت به الحرار حرة شوران وحرة ليلى وحرة واقم وحرة النار وعامة منازل بني سليم إلى آخر ما هنا) حَرَّةَ شَوْران وعمة منازل بني سليم إِلى المدينة فما احْتَاز في ذلك الشق كله حِجاز، قال :وطَرَف تِهامة من قِبَل الحجاز مَدارِج العَرْج، وأَوّلها من قِبَل نجد مَدَارج ذات العِرْق .الأَصمعي: إِذا عرضت لك الحِرارُ بنجد فذلك الحِجاز؛ وأَنشد: وفَرًّا بالحِجاز ليُعْجِزوني أَراد بالحِجاز الحِرارَ. وفي حديث حُرَيْثِ بن حسان: يا رسول الله، إِن رأَيْتَ أَن تجعل الدِّهْناء حِجازاً بيننا وبين بني تميم أَي حدًّا فاصلاً يَحْجِزُ بيننا وبينهم، قال: وبه سمي الحِجازُ الصُّقْعُ المعروف من الأَرض، ويقال للجبال أَيضاً: حِجاز؛ ومنه قوله :ونحن أُناس لا حِجازَ بأَرْضِنا"

59- الطيب العشاش، ديوان أشعار التشيّع، ص59

60- ياقوت الحموي، معجم البلدان ج2ص247.

المصادر والمراجع

المصادر:

1- الأنباري (أبو بكر)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دلر المعارف، الطبعة الخامسة، [د.ت]

2- العشّاش (الطيّب)، "ديوان أشعار التشيّع"، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1997.

3- عبّاس (إحسان)، شعر الخوارج، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1974.

المراجع:

1- حي (عبد العزيز) وبوزري (فاتح)، دلالة اسم العلم عند علماء العرب وفلاسفة اللغة الغربيين، مجلة قراءات، المجلد14د، العدد01، ص1215-1230

2- ابن بغداد (أحمد)، دلالة المكان في الشعر الجاهلي، المعيار،جوان2017، ص168-174.

3- الجدّاري (عمارة)، المكان في الشعر العربي القديم في القرنين الأول والثاني الهجريين من خلال نماذج، دار المنتدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2021

4- حسين (طه)، مع المتنبّي، دار المعارف، مصر، [د.ت]

5- الحموي (ياقوت)، "معجم البلدان"، دار الكتاب العربي، بيروت، [د.ت.].

6- ابن فطة (عبد القادر)، التفاعل الوجداني بين المكانية والشاعرية . قراءة نماذج من الموروث الشعري العربي، المدوّنة، المجلد08د، العدد03، سبتمبر2021، ص2217-2234.

7- شرارة (عبد اللطيف)، أبو الطيب المتنبّي، الشركة العامّة للكتاب، الطبعة الأولى، تونس1988.

8- صائغ (عبد الاله)، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1997.

9- ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، 1980، الطبعة العشرون، [د.ت].

10- الكوفي (أحمد بن أعثم)، كتاب الفتوح المكتبة الرقمية للمراجع والمؤلفات العربية- مجالس/ بتاريخ 10-12-2012

11- مطلوب (أحمد)، مصطلحات النقد العربي القديم الطبعة الأولى، 2001.

12- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ- 1994م.

استخدامات الرَّمز ومساءَلة المعنى بحثًا عن تمثُّل رؤيا شعريَّة مُختلفة ؛ديوان (حلاج النّهايات للشَّاعر "عبد الحاكم بلحيا ") أنموذجا

Exploring symbolism and questioning meanings to discover diverse poetic perspectives: 'Halaj Al-Nihayat' collection by the poet Abdelhakem Bellahya as an exemplary model

توتاي سيف الله هشام

المركز الجامعي مغنية(الجزائر) aoutay.seyfallah@cumaghnia.dz

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024 / 03 /10	2024 / 04 / 01	2024 / 06 / 01

مُلخص البحث

يسعى الخطاب الشَّعري الحدَاثي إلى بناء جماليةٍ خاصَّة يتفرَّد بها عن الشِّعريات الكلاسيكية المتوارثة التي صارت بمثابة خبرات سابقة راسخة في تاريخ التلقي العربي. حيث طفقت الكتابة الشِّعرية الحداثية تهرع إلى خلق أسلوبيات جديدة تنزاح بها عن المألوف بهدف كسر أفق توقع القارئ لبناء تأوّلٍ جديدٍ للمُتون الشِّعرية .

ومنه فتح الشُعراء باب تجريبٍ شعري واسع بحثا عن سمات شعرية تمثُّلاً للخصوصيات الحضارية التي ينتمون إليها، وذلك بطرح أسئلةٍ جديدةٍ تخُص العالم وأزماته النّفسية المعاصرة، وديوان حلاج النِّهايات واحد من التجارب التي خاضت نصوصها مغامرة هذا التجريب الشّعري الذي يحاول تجاوز السائد ليبني رؤيا جديدة للوجود والإنسان والعالم.

الكلمات المفاتيح: الكتابة الشعرية / الرؤيا الشعرية / النص الشعري / أسئلة الكتابة

Abstract

The modern poetic discourse aims to construct a distinctive aesthetics that sets it apart from the inherited classical poetic traditions, which have become entrenched as previous experiences in the history of Arab reception. Modern poetic writing diverges from the conventional by rushing to create new stylistic elements, intending to break the reader's expectations and build a fresh interpretation of poetic texts.

As a result, modern poets have opened the door to extensive poetic experimentation, seeking poetic characteristics that embody the temporal specificities to which they belong. This involves posing new questions related to the contemporary world and its psychological crises. The collection 'Halaj Al-Nihayat' is one of the experiments that embarked on the adventure of this poetic experimentation,

attempting to surpass prevailing norms and establish new perspectives on existence, humanity, and the world.
Keywords: Poetic Writing, Poetic Vision, Poetic Text, Writing Questions.

1. مقدمة:

لم يعد شعر الحداثة مجرد آلة تصويرية للواقع يلهث عبر تقنيات معينة وقوالب جاهزة متوارثة عبر تاريخ القول الشعري، بل انتقل الشعر من توصيف العالم وأشيائه المحسوسة إلى فلسفته بتفكيكه وإعادة تركيبه مرة أخرى بحثا عن مفاهيمَ جديدةٍ لإدراك العالم، فلا يعقل أن نجد شاعرًا في زمن القنبلة النووية يتحدث عن الرمح والسيوف المهندة!،وفي عصر المكوك الفضائي يتحدث عن وحوش الصحراء الضارية من سيدٍ عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل !، فمثلما يتطور الإنسان ومعارفه تتطور اللغة وتختلف القوالب التعبيرية التي تحتوي تجاربه المعرفية التي أفرزتها ضروراته الزمنية، فهذا الانتقال من الوصفية التي تحاول تصوير أو توثيق حدود البيئة المحسوسة إلى فلسفة العالم هو تطور طبيعي جدا، فلهذا نجد الخطاب الشِّعري القديم – في معظمه – قد هيمن عليه البعد الوصفي مما جعل الشعر آنذاك استكشافيًا/تعريفيًا يحاول أن يوثق الحيز المكاني والثَّقافي للشَّاعر حتى كاد أن يكون صورة فوتوغرافية له، كل هذا لا يعني وجود بعض الاستثناءات من التَّجارب الشعرية كشعر الحكمة أو الصوفي منه في العهد العباسي حيث حاول الشعراء في هذين الغرضين أن يعدلوا عن اللغة الوصفية إلى اللغة المفكرة التي تحمل في ثناياها ثورة فكرية قبل أن تكون لغوية.

إذن فرهان شعرية الحداثة هو أن تقدم مفهومًا للعالم يتناسب مع ثورة العصر وما قدمته من فتوحٍ ابستمولوجية، لكن هذه الفتوحات على المستوى المعرفي لم تزد العالم إلا تعقيدًا وغرائبية، وهذا ما يبرِّر الغموض الذي صار ختما خاصًّا للشعرية المعاصرة، فإذا كان مصطلح العالم يُرهق عدسات الميكروسكوبات ومحاليل التجريب، فلا ضير أن يرهق الكلمات والقوالب الشعرية، ويبدو من هذه الزاوية أن مفهوم العالم يُعتبر مصطلحا مشاكسا يظهر ويختفي في آن واحد، ليعطي مجموعة من العوالم، فالعالم الأول في هذه المنظومة المربكة؛ هو مفهوم الأشياء المجردة التي تحيط بنا خالية من كل اصطلاح مفهومي، والعالم الثاني؛ هو الذات المكتشفة وما تحمله من مفاهيم للأشياء المكتسبة عن طريق تجاربٍ خاصةٍ، والعالم الثالث؛ هو التفاعل الجدلي بين العالمين الذي يولد الصراع بين غموض الأول وفضول الثاني ليشكل موادًا دسمة للتجارب العلمية وللرؤى الشعرية على حدٍّ سواء.

ومنه سنحاول من خلال هذه الدارسة الكشف عن بعض الجوانب الفلسفية للكتابة الشعرية المعاصرة وهي تحاول بناء معنى جديد للعالم وأشيائه المحيطة به استنادًا على ديوان (حلاج النِّهايات للشاعر عبد الحاكم بلحيا).

2.تأثيث:

تنآى الكتابة الشِّعرية المعاصرة عن التَّصوير البروناميِ/ المقطعي للمحيط الذي تنمو فيه التَّجربة الشِّعرية،بل تتجاوز ذلك نحو تفكيكِ مفاهيم العالم التي ظلَّت تشكِّل مفهوماتٍ نمطيةٍ للمجوداتِ التي تحيط بنا. ومن ثمَّة ;بعد عملية التَّقويض تعيد التَّجربة الشِّعرية بناء مفهومٍ جديدٍ للعالم استنادًا إلى العمق الفلسفي والرؤيوي للذَّات المنشئة للخطاب الشِّعري.

فالقصيدة المعاصرة في جوهرها ثورةٌ يمتزج فيها البعد (الاستطيقي / الجمالي) مع البعد (الابستمولوجي / المعرفي)،إذ من الرِّهانات الكبرى التي تتوخاها القصيدة الحداثية هي أن تعيد تأثيث مفاهيم العالم من خلال البحث عن جوهر الأشياء والولوج إلى أغوار الظواهر سواء أكانت خارجية موضوعية أم ذاتية تنتمي إلى أعماق الذّات المنتجة للخطاب الشِّعري، لأنَّه في نهاية المطاف نجد المعنى الذي ستقدمه التَّجربة الشِّعرية هو المعنى الحقيقي، حقيقيٌ من زاوية الرؤيا الشِّعرية التي تزاوج بين ما هو بصري وعقلي، فالأولى: تنظر إلى خفايا الأشياء من زوايا غير مألوفة، أما الثانية: فهي نشاط داخلي وذهني وفكري يحلِّل الأشياء ويفسِّرها من أجل تأوُّل معنًى جديد، فإذ كانت " مهمَّة الشّعر العربي في النظرة التقليدية، أن يُلاحظ العالم فيستعيده ويصفه، فإنَّ مهمته في النظرة الحديثة، هي أن يعيد النّظر أصلا في هذا العالم، أن يُبدله، أن يخلق ويرتاد ويُجدِّد ،الشعر العربي، الآن مغامرة في الكشف والمعرفة ووعي الشامل للحضور الإنساني"[1].

وبهذا المفهوم الجديد سيصبح الشِّعر رؤيا تتوسّل "نوعا من المعرفة التي تتخطى نطاق العالم المحدود بالظَّاهر المحسوس وتنافس الفلسفة، وتتغلب عليها في مجال الكشف والخلق والبناء"[2].بمعنى أنَّ الرؤيا الشعرية تتجاوز ظاهر الأشياء نحو الحفر في عمقها بمعاول الأسئلة الوجودية رغبةً في تأسيس معنًا جديدًا ومحتملاً للعالم، ممَّا يجعل التجّربة الشعرية تتسم بالقلق الوجودي أثناء البحث عن المعنى، لأن من خصائص الشِّعر الجديد أنّه "يعبّر عن قلق الإنسان، أبديًا، الشاعر الجديد، وحالته هذه المنفردة، متميزة في الخلق وفي المجال انهماكاته الخاصة، كشاعر، وشعره مركز استقطاب لمشكلاتٍ كيانية يعانيها في حاضرته وأمته وفي نفسه هو، بالذات."[3]

3.قراءة في ديوان حلاج النهايات:

إنَّ المجموعة الشعرية (حلاج النّهايات للشاعر عبد الحاكم بالحيا)،لا تخرج عن الوعي الشعري المعاصر الذي يتجلَّى انطلاقا من بنية العنوان التي تستحضر- للوهلة الأولى – مخزونا تراثيا متغلغلا في النَّفس الإنسانية، وتفتح النَّص على عدَّة مآلات دلالية ممكنة تجعل القارئ يُسلِّم بتجربة (الحلاج الحقيقي)،ولا يتوقف عند حدود تفسيرها، بل يتعدى ذلك إلى حمل دلالة مأساة الحلاج بطريقة تتأرجح بين زمن الماضي والحاضر. كما أمدّت دلالة العنوان نوعا من الشمولية والكلية من خلال ربط خيط المشابهة بين ألم الحلاج الذي تعرض له أثناء البحث عن معنى الوجود الذي أباح دمه، والزاوية التي تأسست عليها الرؤيا الشعرية لنصوص المجموعة الباحثة -هي أيضا- عن معنى الوجود والعالم.

ومنه ورد لفظ (حلاج) بصيغة التنّكير لتفيد دلالة تعميم تجربة الرجل الصوفي الأليمة على الرؤيا الشعرية التي كسرت الأبعاد الزمانية والمكانية لشخصية الحلاج الحقيقية، وأضافت تجربتها الواقعية بُعدًا جماليًا للهندسة الدلالية لبنية العنوان من خلال تحقيقه فكرة تجاوز حقيقة تجربة الحلاج الماضية لتمتزج بالتجربة الشعرية الحاضرة من أجل تعميق الرؤيا التي ابتعدت دلالتها عن الزمن الماضي وانفتحت على دلالة الحاضر أي اللحظة الراهنة التي يعيش فيها منشئ الخطاب، واستشرفت مستقبلا غامضا ،مجهول المعنى، الذي سيكون بمثابة محرك القول الشِّعري في المجموعة عن طريق صهر الدلالة الرمزية للحلاج المترسّخة في ذهن القارئ ثم سكبها على دلالة التشظِّي والحيرة في البحث عن معنى الوجود.

وبهذا يكون توظيف الرمز الشِّعري في عتبة العنوان بصيغة التَّنكير، قد أدى وظيفته الدلالية حين أخرجت المعنى من مجال التخصيص إلى التعميم حيث" تجاوز المكان والزمان، يعني أن الرائي تجلت له أشياء الغيب، خارج الترتيب أو التسلسل الزمني وخارج المكان المحدود وامتداده ...". [4]

ثم أسند على رمز (حلاج) اسمًا على صيغة الجمع (النِّهايات) الدال على معنى الكثرة، فهي ليست نهاية واحدة للمأساة، بل نهايات متعدِّدة ومتجددة لا حصر لها ...

وإنَّ بناء جملة العنوان على هذا النحو الأسلوبي (حلاج النِّهايات) هي بنية تريد الإخبار عن حجم القلق الوجودي الذي أحدثته المأساة لا التنبؤ بنهاياتها، ثم إن بلاغة حذف المبتدأ الذي تقديره (أنا حلاج النِّهايات أو أنا كحلاج النهايات) حيث حذف ضمير الدال على الذات لأنَّها أصلا هي في محل بحثٍ عن نفسها داخل المتن الشعري، حيث ألقت هذه دلالة في كثيرٍ من الصيغ الشعرية في نصوص المجموعة بظلالها دلالية على كثيرٍ من الجمل الشِّعرية مثل قوله :

" وأنا الفناء ..

وكلُّ ما خطَت طواسيني لتمسك وهج نجمتها ..رثاءُ

أنا النداء ..

لكلِّ مأخوذٍ بعطر الوردة الدنيا ،أقول بخٍ ، أقول مهٍ .

وأنا البكاءُ

فليس ثمة غيمةٌ إلاَّ ومن روحي همَت ،أو موجة إلاّ وعيني بحرها..

وأنا الهباءُ

ولم يكن جسدي ذرَّات ما جمعت رياح الشكّ من جمر الحقيقة

حين ذرتها السماء"[5]

وكذلك من الشّواهد التي تعبّر عن البحث الوجودي القلق ، حين تُغيِّب الرؤيا الشعرية ضمير الذَّات من عتبة العنوان، تتجلى في قوله:

" أنا صخرة الجرف ..

كل ما أسقط من شاهق

أجدني معلقا بالنتوء

والهاويات تلقائي تتمدّد "[6]

إذن، فعتبة العنوان تطرح تساؤلات أنطولوجيا أثارتها الذَّات القلقة الباحثة عن تشكلات هويتها وتشظيها في الآن نفسه، حيث مثَّلت الانكسارات الوجودية الخيط الرَّفيع الذي يربط دلالة هذا الخطاب الشِّعري عبر مختلف التقنيات الإبداعية الحديثة من خلال عدّة تجليات سيميائية ورمزية صوفية. بل أحيانا تعدَّى الرمز إلى القناع، أي الكلام بلسان الرمز، فالقناع " رمز يتخذه الشاعر العربي المعاصر ليضفي على صوته نبرة موضوعية، شبه محايدة، تنآى به عن التدفق المباشر للذات، دون أن يخفي المنظور الذي يحدد موقف الشاعر من عصره، وغالبا ما يمثل رمز القناع في شخصيةٍ من الشخصيات، تنطق القصيدة صوتها، وتقدمها تقديما متميزا، يكشف عالم هذه الشخصية، في مواقفها، أو هواجسها أو تأملاتها، أو علاقتها بغيرها ..."[7] .

فقد افتتُحت مجوعة (حلاج النِّهايات) بقناع إبداعي تجاوز الأساطير والشخصيات التاريخية، إلى بناء صورته من إلهام الطبيعة التي نشأت فيها هذه النصوص، حيث امتزج صوت الخطاب الشعري بمأساة (الوعل) ذلك الكائن الصحراوي المهدد بالانقراض والفناء، ومن هذه الزاوية انبثق الخلق الفني على اختراع هذا القناع، مما جعل تدفق التجربة الشعرية تطرح عدَّة تساؤلات تبحث عن جدوى الحياة والعالم على لسان الوعل نظرًا لتشابه محنته مع تراجيديا الوجودية للذات المرسلة للخطاب الشعري؛ يقول على لسان الوعل :

" أتدثَّر المعنَى ، وأفترش المحالا

وتسيل من عيني الحروف .. جبالا

مهدي الفضاءُ. " [8]

إلى أن يقول :

" أتربع الصحراء .. من جهاتها .

من حيث أقرح تحت أخمصي التلالا

أرعى السكينة مقلتي "[9]

ممّا جعل هذه التّجربة الشّعرية تستمِدّ رؤيتها عن طريق التَّفاعل بين الذَّات والموضوع، أي امتزاج صوت الشاعر بأزمة الوعل.

كما أنَّ مجموعة (حلاج النّهايات) باذخة بشعرية التضاد التي تعبّر عن القلق الأنطولوجي للذات، حيث نجد التيمات المهيمنة على بناء هذا الخطاب الشعري تتوزع عبر ثنائية؛ الماء / والموت وكل دلالة تؤدي إلى معنى الفناء والعدم والتلاشي..

فالملاحظ أن الماء وما يدل عليه، ورد في مواضع شعرية كثيرة، نذكر منها ما يلي :

الجدول 1:

عنوان القصيدة	الشاهد	الصفحة
التراب	هبي أباح الماء سرّ الماء ..... الطين للطين ...والأنهار جارية	ص8
في ضيافة اللهب	نار الله .../ دوما موقدة / في أشداقي فقهاء الماء	ص 10
على خيط في الهاوية	انزل –إن شئت –إلى غيابات الماء ..... وأنت هناكامن قبل أن نعرفك متبوّئٍ عرش الماء ..... نهر طائر	ص25 ص26 ص27
حلاج المواسم	ولا أخصف ثوب الغيمة الولهى ..... ولا أغرم في مطر ما قبل أن تروى من أفاويق بقاياه الربوع	ص 32
من ضلع الجبل	خرجت من ضلع واد سحيق واتجهت عكس الماء والريح	ص44
المأتة	وأنا أغسل الشمس بالمطر	ص49
نوافذ	أفرك عيني فتزداد الغيوم من حولي	ص54

حيث اتخذ الماء رمزًا للحياة والوجود، وهي نفس الدلالة في التَّصور الصوفي، فالماء عندهم " امتزج بتصورين أساسين، الأول الحياة المتغلغلة في الطبيعة بأسرها، والثاني تصورٌ مشتق من لغة الوحي القرآني، يُحيل إلى صورة العرش الإلهي، وفيما يتعلق بالتّصور الأول يعلن ابن عربي: أن سر الحياة سرى في الماء، وهو أصل العناصر والأركان، ولهذا جعل الله من الماء كل شيء حي"[10]حيث نجد في بعض البنيات النَّصية امتصاصًا جليًّا لتصور ابن عربي للماء في قوله مثلا :

" هبي أباح الماء سرّ الماء

واندلقت محابر القلب

وانساحت على الكثب "[11]

وفي قوله أيضا :

" الماء طريق إلى كل شيء .."[12]

كما ورد الموت نقيض الماء والحياة والوجود بعدَّة صيغٍ شعرية تعبّر عن حالة وجودية تسعى إلى الفرار من الواقع البائس تكون فيه المعرفة الوجودية نسبية نحو عالم أوسع ويقيني . ومن نماذج توظيف هذه الدلالة بمختلف تجلياتها الإبداعية، نذكر بعض ما يلي:

الجدول 2:

عنوان القصيدة	الشاهد	الصفحة
في ضيافة اللهب	حيث في برزخ التقاطع يتلاشى كلانا ..... تكفي شرارة .. لكي يبدأ التكوين ومثلها فقط ليضحك العدم الشجرة النار الجمر فناء الشعاع عصافير	12 13
على قارعة الماء	لم يبق بيني وبين الشعر غير أن أموت !	19
على خيط في الهاوية	ولم نزل أجنّة في هذه الفقاعة العائمة المجهشة بالتلاشي	27

حلاج المواسم	ما من خطوة إلا وتدعو موتها	37
السقوط الأخير	هنا قابع في الغياب مشيح بوجهي تلقاء ما لا يرى ..	39
من ضلع الجبل	مثلما لا يخشى الموت طالما أنت هنا	42
المشتبه	أنا مثل امرئ القيس : أحاول .. أو أموت. ولا أرضى من الغنيمة بالإياب	80

ومنه أخذت دلالة الموت في (حلاج النّهايات)مفهومًا صوفيًا مجردًا من المعنى المعجمي للفظ، فالموت في الفلسفة الصوفية هو مسلك نحو المعرفة المطلقة.

فإذا كان الفلاسفة المؤهلين الذين يرون أن هناك هوة بين الوجود الإلهي المتعالي المطلق، وعالم التغير والزوال، فإن فكرة الموت عند الصوفية خلاف ذلك، لأنه بالإمكان عبور تلك المسافة الميتافيزقية بين العالمين على مستوى الإرادة والشعور والوجدان، من خلال إلغاء القسمة الفاصلة بين الذات المدركة وموضوع الإدراك، وهو ما اصطلح عليه بالفناء الإرادي والفناء الشهودي [13].

ومن أرقى النماذج تمثّلاً لهذا العبور الصوفي نحو إدراك المعنى الوجودي، ما ورد في نص (المتاهة)، يقول:

أركب الحافلة المتجهة إلى " الله "

كل ما وصلنا إلى المحطة

قيل : هذه "ما قبل الأخيرة" [14]

ومن خلال هذا التّحليل، يمكن استخلاص الثنائيات المجردة التي ساهمت في توالد نصوص مجموعة (حلاج النّهايات)، بين جدلية الحياة والموت القائمة على رحلة السفر الروحي الصوفي الباحثة عن المعنى الأنطولوجي.

4.خاتمة:

-إن فضاء القصيدة في ديوان (حلاج النّهايات) يعبر عن وعي بلاغي يسعى إلى تجاوز الصور الشعرية المتوارثة من الأسلوبيات القديمة ،فالاستعارة والمجاز إذا تكرّرا فقدا عنصر الدهشة الأولى للتلقي ،فحينها يخرج من العالم التخييل إلى الحقيقة .

- مجموعة (حلاج النّهايات) تشتغل على شعرية التجاوز انطلاقا من الاشتغال على الانزياح الأسلوبي والشكلي لبناء القصيدة وصولا إلى تمثُّل الرؤيا المختلفة للعالم المحيط بنا.

- تخرج الكتابة الشعرية المعاصرة عن كونها مجرد توصيف للعالم إلى تفكيكه ثم إعادة بنائه من جديد، بهذا تكون الكتابة الشعرية المعاصرة فلسفة للعالم بدل وصفه. وهذا ما نجده واضحا في (حلاج النِّهايات) حيث أن نصوص هذه المجموعة لا تقدم وصفا لعالم بقدر ما توغل التأمل فيه بحثا عن معنى جديد له .

- الكلمة في بناء الشعر المعاصر لا تؤدي دلالتها المعجمية فحسب، بل تحمل شحنات فلسفية تعبّر عن أزمات أنطولوجية للشاعر خاصة والإنسان المعاصر عامة.

- الرؤيا الشِّعرية هي الرّهان التي تتوخاه القصيدة الحداثية لأنها تعبّر عن نمط إدراك خاص للعالم المحيط بنا فالشعر يقدم قراءة مختلفة للواقع من زاوية لم تكن مألوفة ، فآن لنا اليوم أن نعدل المقولة العروضية المتوارثة من التنظير للشعر الكلاسيكي القائلة (يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره) بمقولة (يرى الشاعر الحداثي ما لا يستطيع أن يراه غيره). فالشاعر الذي يكتب اليوم قصيدة للقارئ يخبره فيها مثلا : أن السماء زرقاء أو الليل طويل أو لحبيبته عيون سوداء ،فهو لا يقدم للقارئ تجربة تلقٍ جديدة ،وبتالي نصه محكوم عليه منذ الوهلة الأولى بالموت .

- إن مجموعة (حلاج النّهايات) مجموعة شعرية تعددّت فيها مختلف تقنيات الشِّعر الحديث سواء على المستوى الفلسفي أو على المستوى التشكيلي والأسلوبي والرمزي والصوتي، تستلزم تقصي أبعاده الشعرية بحوث أكاديمية جادة، آمل أن تلتفت له بحوث الطلبة والأساتذة الجامعيين.

الهوامش:

---

[1] أدونيس، زمن الشعر، دار الفكر بيروت، ط5 /1986، ص44.

[2] جاهد فاضل، قضايا الشّعر الحديث، دار الشروق،ط1/1984،ص277.

[3] أدونيس، زمن الشعر، مرجع سابق، ص9وص 10.

[4] أدونيس، الثابت والمتحول – بحث في الإبداع والإتباع عند العرب -، دار العودة بيروت،ط1/1987،ص167.

[5] عبد الحاكم بالحيا، حلاج النِّهايات، دار ميم الجزائر، ط1/ 2021 ص34.

[6] عبد الحاكم بالحيا، حلاج النّهايات ، المرجع السابق، ص44.

[7] أحمد جابر عصفور، أقنعة الشعر المعاصر –مهيار الدمشقي -، مجلة فصول، ع4،مجلد 1 / يوليو 1981، ص 123.

[8] عبد الحاكم بالحيا، حلاج النهايات، المرجع السابق، ص 5.

[9] عبد الحاكم بلحيا ، حلاج النّهايات ،المرجع السابق ، ص5 وص 6.

[10] عاطف جودة نصر، الرَّمز الشعري عند الصوفية ،دار الكندي بيروت، ط1 / 1987،ص 275.

[11] عبد الحاكم بالحيا، حلاج النّهايات، المرجع السابق، ص 16.

[12] عبد الحاكم بلحيا ،حلاج النهايا ت ،المرجع السابق، ص19.

[13] ينظر، ناجي حسين جودة، المعرفة الصوفية،-دراسة فلسفة في مشكلات المعرفة –دار الهادي بيروت، ط1/2006،ص157.

[14] عبد الحاكم بالحيا، حلاج النّهايات، المرجع السابق، ص 77.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- عبد الحاكم بالحيا، حلاج النّهايات، دار ميم الجزائر، ط1/ 2021

المراجع:

- أدونيس، الثابت والمتحول – بحث في الإبداع والإتباع عند العرب -، دار العودة بيروت،ط1/1987.
- أدونيس، زمن الشعر، دار الفكر بيروت، ط5 /1986.
- جاهد فاضل،قضايا الشعر الحديث،دار الشروق،ط1/1984.
- عاطف جودة نصر،الرمز الشعري عند الصوفية ،دار الكندي بيروت، ط1 / 1987.
- ناجي حسين جودة،المعرفة الصوفية،-دراسة فلسفة في مشكلات المعرفة –دار الهادي بيروت، ط1/2006.

المجلات :

- أحمد جابر عصفور، أقنعة الشعر المعاصر –مهيار الدمشقي -، مجلة فصول، ع4،مجلد 1 / يوليو 1981

جماليات الخطاب الفني في رواية "اللاز" للطاهر وطار
-مقاربة جمالية في المنظور السردي-

Aesthetics of Artistic Discourse in the Novel "The Laz" by Tahar Wattar
An Aesthetic Approach in the Narrative Perspective

فتحي بوخالفة
جامعة المسيلة (الجزائر)Fethi.boukhalfa@univ-msila.dz
المخبر: مخبر الشعرية الجزائرية-جامعة المسيلة

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024 / 04 / 30	2024 / 05 / 21	2024 / 06 / 01

ملخص البحث

يعنى البحث بدراسة المنظور السردي، في رواية "اللاز" للطاهر وطار. حيث يتم تتبع آليات تجلي الرؤية الروائية للنص، من خلال نمط وجماليات الخطاب السردي، تبعا لخاصية تنوع الخطابات والانتصار لرؤية إيديولوجية معينة.

وفي هذه الحال، تم اعتماد طريقة التحليل الفكري والمعرفي، لمجمل المقولات النظرية والإيديولوجية التي تضمنها النص، وفق وعي الشخصيات الروائية، التي أسهمت بقسط وافر في بلورة جماليات الخطاب، وفق المنظور السردي للرواية.

الكلمات المفاتيح: الواقعية الاشتراكية، السياق التاريخي، التحولات الجدلية، الوجود الاجتماعي، الوعي الاجتماعي.

Abstract

The research is concerned with studying the narrative perspective in the novel "Al-Laz" by Al-Taher Wattar. The mechanisms of manifestation of the narrative vision of the text are traced through the style and aesthetics of narrative discourse, depending on the characteristic diversity of discourses and the victory of a particular ideological vision. In this case, the method of intellectual and cognitive analysis was adopted for all the theoretical and ideological statements included in the text, according to the awareness of the fictional characters, who contributed greatly in crystallizing the aesthetics of the discourse, and according to the narrative perspective of the novel.

Keywords: socialist realism, historical context, dialectical transformations, social existence, social awareness.

1.مقدّمة:

التزمت الساحة الثقافية في "الجزائر" بعد الاستقلال، بإنتاج قيم أدبية أخذت على عاتقها مسؤولية، ترسيخ قيم الديمقراطية والتقدمية. والاقتراب أكثر من الواقع الجزائري المعاش. وقد سجلت في هذا الصدد، في فترة الستينات والسبعينات من القرن العشرين، اهتمام الكتاب الشباب الجزائريين بكتابة القصة القصيرة، ثم تطورت اهتماماتهم بعد ذلك، نحو كتابة الرواية كرؤية قصصية مطولة. لأنهم أدركوا بوعيهم الأدبي والثقافي بأن القصة القصيرة، لم تعد المجال الإبداعي، الذي يلبي حاجاتهم الفكرية لإثراء عملية الصراع القائمة، بمختلف أوجهها على مستوى الساحة الجزائرية الجديدة، نتيجة تعقد الواقع الاجتماعي بصورة أكثر. وهذا على عكس الرواية، التي باستطاعتها تجسيد عالم كامل من الصراع بكافة شروطه وملابساته التاريخية والاجتماعية. ولعل هذا ما يبرر كثافة الكتابة الروائية خلال فترة السبعينات من القرن الماضي، لأن تجسيد المستقبل بتناقضاته وتوجهاته الجديدة، أمر صعب من الناحية الجمالية، من خلال الكتابة القصصية القصيرة.« والرواية فن المستقبل الذي بإمكانه أن يلقي القبض على اللحظة التاريخية بكل أبعادها في لحظة توترها وعنفوانها. فهي ليست مجرد تركيب فني، مجبر على الالتزام بقواعد ما. وهي تجسيد للواقع فنيا بكل ما يحمل هذا الواقع من تناقضات طبيعية»(1)؛ بمعنى إعادة إنتاج الواقع مجددا، وفقا للوعي الاجتماعي المواكب للتطورات التاريخية الجديدة. فالتجربة الواقعية لـ"الطاهر وطار" مثلا هي رسم لواقع معين، ورسم لحدود واقع تاريخي محدد، تتطور عناصره ضمن حدود معينة من الصراع والنضال. فالتجربة من خلال وعيها الروائي تشير إلى حدود وعي كلي شمولي عام. وهنا لا يفارق الوعي الجزئي المحدود، الوعي الكلي الشامل، ولا يمكن أن يكون معزولا عنه، إنما هو متواجد ضمنه ويتحدد في حال موضوع ما، وفق رؤية فكرية وآليات فنية معينة. لأن التجربة الروائية لا تنتج وعيا روائيا، تبعا لوعي روائي مستقل ومتعال؛ إنما تنطلق من وعيها العام والكلي. لذلك فما يجعل الفن على درجة من الطليعية لدى كتاب الواقعية الاشتراكية، « ليس ما هو شائع عن التطور الفني أو الابتكار، أو التحديد المذهل في التكنيك أو المعاناة، بل المضمون الإنساني والاجتماعي وعمق قفزة الفنان إلى المستقبل، ولذا فإن الأعمال التي تبقى وحدها، هي الأعمال التي تتطابق بمعنى واسع وعميق مع تطور البشرية»(2).

بدت هذه الملامح بوضوح في تجارب الواقعية الاشتراكية للكتاب الجزائريين خاصة في رواية "اللاز"، التي تمكنت من إعادة حقبة تاريخية غامضة من تاريخ "الجزائر" الحديث إلى الوجود. لتطرح الرواية مجددا، استماتة المناضل الشيوعي في النضال من أجل مبادئه وقيمه اليسارية.

2.الخطاب والمشروعية التاريخية:

أعادت رواية "اللاز" بناء الواقع الجزائري من جديد، ووضع القارئ أمام الحكم التاريخي، لتتأكد صفة الإخلاص الوطني لشخصية "زيدان" المناضل اليساري لا لشخصية "الشيخ". فأبرزت الرواية المواقف السلبية لبعض التوجهات الدينية ، التي سقطت مع مرور التاريخ في حبائل التوجهات الإمبريالية العالمية.

والرواية وهي تعيد النظر في التاريخ من منظور ملحمي، لم تعتمد المستهلك والجاهز، لتصوغ أحكاما في القضية الثورية المحورية التي تعالجها، فقامت لذلك بتوضيح المهمة الإيديولوجية، التي يقوم المنظور

السردي للرواية بإبداعها. والمتمثلة أساسا في توضيح المحتوى المادي للحركة التاريخية، وتحديد اتجاهاتها. إن الرواية بهذا المعنى، تحمل في ثناياها حلم الجماهير الشعبية بالتغيير، وتستبطن في ثناياها إرادة جماعية في التقدم. لذلك فأدب الواقعية الاشتراكية في "الجزائر"، « يشارك بالفعل في إيقاظ الضمير الجماعي، على إحدى مناطق التعاسة البشرية»(3).

تابعت التجربة الروائية للكاتب "الطاهر وطار"، الوعد الذي التزمت به، بمتابعة تطور الرحلة النضالية "للجزائر" عبر كافة مراحلها التاريخية(4)؛ بداية من ثورة التحرير في رواية "اللاز"، إلى التحولات الديمقراطية الجديدة بعد الاستقلال، في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" (الجزء الثاني لرواية "اللاز")، بكافة الإشكالات والتناقضات التاريخية. حيث يمكن للقارئ أن يستنتج أن الذين شاركوا في الثورة التحريرية، وحتى الذين كانوا من قادتها لم يكونوا على مستوى واحد، من التجانس والانسجام الفكري والإيديولوجي، بحيث يمكن أن توجههم توجهات تاريخية موحدة، تتبوأ عملية توجيه الجماهير الشعبية، نحو تغيير تاريخي اجتماعي حاسم. لذلك كانت شخصيات جديدة، من مثل: "مصطفى" و "رضوان" في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي"، امتدادا لرؤية "الشيخ" الذي أمر بإعدام "زيدان" في رواية "اللاز".

وعليه لم يكن مستبعدا أن تتحول رؤية "زيدان" الإيديولوجية، إلى أنموذج عقيدة التزام وطني، للطلبة المتطوعين (الفولنتاريا)، الذين ينحدرون من طبقات شعبية فقيرة، أمثال: "الشريف" و "جميلة" و"الشباح المكي" (من خلال مذكراته) و"اليامنة"، بالإضافة إلى شخصية "اللاز"، هذه الشخصية التي كان حضورها في الرواية، كصوت دائم لضمير الشعب الجزائري، الذي بقي شاهدا على كل التحولات التاريخية في الوطن، منذ اندلاع ثورة التحرير، إلى مرحلة البناء الديمقراطي بعد الاستقلال. والمادة الشعبية الخام المختزنة في ذاكرة "اللاز"، والتي حجمت فاعليتها خلال أيام ثورة التحرير، استيقظت خلال مرحلة البناء الوطني، في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي"، وكانت يقظتها في اللحظة التاريخية المناسبة، عندما تطور الصراع بين مختلف القوى الوطنية.

ولم تغامر تجربة "الطاهر وطار" السردية، في تقديم نهاية جاهزة للرواية. إنما على النقيض من ذلك فهي رغم أنها تقدم بوادر نبوءات خطيرة، فهذه النبوءات هي نتاج وعي لتطورات البنى الاقتصادية والاجتماعية في البلاد. ومدى انعكاس هذه التطورات على مختلف شخصيات الرواية، التي لا تحقق تجانسا طبقيا من حيث الانتماء. وفي ظل هذه التحولات يبقى التاريخ وحده المخول، بإعطاء النهايات المناسبة، والكشف عن نتائج هذا الصراع.

ومع أنه لا يمكن التفصيل أكثر في التنبؤات التاريخية التي تضمنتها، تجربة الكاتب "الطاهر وطار" الروائية، إلا أن المنعطفات والوقائع التاريخية التي تحدث على مستوى الواقع، من شأنها الكشف عن صدق تلك التنبؤات. وتبقى دائما القيمة النوعية للأدب الروائي، متمثلة في قدراته الكبيرة على التنبؤ بحيثيات المستقبل، انطلاقا من نقد الواقع. وهذا ما يلاحظ في هذا الأنموذج، « لكن المؤكد أنه بعد سنوات، لن يتطوع غير الملتزمين الحقيقيين، بالعقيدة الثورية. إن العراقيل المتعددة والتخريبات المتنوعة، ستحدث كلها

في يوم من أيام الفرز ونبقى وحدنا. وجها لوجه مع الحامض، في حالة زيدانية محضة. إما أن نسلم أعناقنا للذبح، وإما أن نتخلى عن معتقدنا»(5).

بناء على هذه المعطيات التاريخية، المحددة للتحولات الديمقراطية الهامة لـ"جزائر" ما بعد الاستقلال، يتعلق الأمر بعمل من أعمال العنف يدبر ضد "جميلة"، برمي الحامض على وجهها، من لدن شخص متمسك بأصوليته. وهو الوجه المقابل في رواية "اللاز"، عندما يكون "زيدان" المناضل الشيوعي ضحية لحكم إعدام صدر في حقه.

ومظاهر التناقض في تجربة "الطاهر وطار" أخذت أبعادا متعددة، اجتماعية وسياسية وثقافية. فمقابل شخصية "زيدان" أنموذج النضال الثوري المخلص، تقف شخصية "العنابية" في رواية "عرس بغل"(6) بهيمنة وسط علاقات إنسانية متناقضة ، لا تزال بحاجة إلى إعادة نظر. فعلى غرار شخصية "العنابية"، هناك "حياة النفوس" و"الهزيون"، أمثال هؤلاء كلهم ضحايا واقع اجتماعي متناقض، فرض ترسباته عليهم وأهدر أحلامهم وطموحاتهم. وقد توصلت رواية "عرس بغل" إلى فكرة جوهرية مفادها أن مثل هذه العلاقات الإنسانية، هي من مخلفات البرجوازية الاقطاعية، ولا يمكنها أن تكون في صالح الإنسان، لأنها ضد حركة تطور التاريخ البشري. لذلك تقتضي الحتمية التاريخية زوالها وانهيارها؛ فالطبيعة الأنانية المنفعية، التي تحرك شخصية "العنابية"، لم تفقد طبيعتها الطبقية لتصير في النهاية إلى أنموذج سلبي للطبيعة الإنسانية. وأكيد أن النص هو من صميم الواقع الاجتماعي، الذي جسد تناقضات اجتماعية هامة، أثرت على طبيعة العلاقات الإنسانية. كما أنه أكثر التزاما بالموضوعية المجردة في التعامل مع الظواهر الاجتماعية. فشخصيات رواية "عرس بغل" تشتمل على قيم إنسانية معينة، غير أن هذه القيم هي في حدود عالم محدود ومغلق، تمر من خلاله الحياة التي تحرك هذه الشخصيات نحو مصالحها الطبقية. وهو التوجه المحدد دائما لعلاقات الصراع الطبقي المستمر، والذي يجمع مختلف تناقضات التاريخ الإنساني.

شكل نمو البرجوازية الصغيرة وتكريسها واقعيا، اهتماما كبيرا لأدب الواقعية الاشتراكية. وهي الشريحة البشرية والاقتصادية التي صارت تشكل وجودا فعليا، في بلدان العالم الثالث بعد تحررها من نير الاستعمار الأجنبي. وكان من المفترض استغلال هذه الشريحة استغلال عقلانيا، بشكل يسهم في بناء الحياة الاقتصادية لتلك البلدان، وفق الأنظمة الاشتراكية الحديثة. فتذبذب هذه الشريحة ليس ظاهرة سلبية بقدر ما تملك من قابلية التشكل من جديد، من خلال تجربة نضالية معينة. فشخصية "علي الحوات" في رواية "الحوات والقصر"(7)، تتميز بطابعها الشعبي الخام، فهي بذلك قابلة للتغيير.

يحلم "علي الحوات" ذات مرة بالتقرب من السلطة (سلطان البلاد)، في أجواء أسطورية عجيبة. يتطور هذا الحلم إلى انشغال فردي، ثم إلى انشغال جماعي. ثم يكتشف "علي الحوات" أن السلطان الذي كان يرغب في لقائه والتقرب منه مات، وأن فئة من المأفونين في المجتمع وقطاع الطرق، استولت على السلطة. فيجبر على إبلاغ أهل البلدة بذلك، ليبدئوا في تدبير شؤونهم وشؤون بلادهم. وفي محاولاته من قبل للتقرب من السلطان، كان يخسر ذاته ويتنازل عن قيمه شيئا فشيئا.

والقرى السبع التي كان يمر بها، والتي كانت تشكل المجتمع الذي ينتمي إليه، كانت تسهم في تشكيل وعيه التاريخي، عندما كان يحتك بأهلها ويقوم بتوعيتهم. غير أنه في النهاية يقتنع بطروحات قرية الأعداء، لأنها القرية التي كانت واضحة في رؤاها. وأكثر نضجا وثورية من غيرها من القرى الأخرى. وهذا يثبت من منظور فكري عقيدي، أن البرجوازية الصغيرة مهما كانت طبيعة انتهازيتها، في حال وعيها بطبيعة الواقع القائم، وفهمها لخصوصياته صارت بمنأى عن السقوط في السلبية والمحاولات الهروبية غير المبررة. ولإثراء موضوع كهذا استفاد النص كثيرا من الموروث الشعبي، الذي مكنه من التعبير بحرية أكبر، والاستفادة أيضا من الموروث الأسطوري الشعبي، للتعبير عن وجهة نظر فكرية تقترب إلى حد بعيد، من وجهة نظر الشخصية الرئيسة. فشخصية "علي الحوات" تقدم نفسها كشخصية واقعية بسيطة، مندمجة في الواقع الشعبي الجماهيري. تؤسس علاقاتها الطبيعية والجدلية مع الواقع، لتعيد إنتاجه مجددا وفق نمط جديد لتشكيل وعيه الاجتماعي.

3.الرؤية الجمالية للخطاب في رواية "اللاز":

استطاعت نماذج روائية واقعية هامة في الأدب الجزائري الحديث، على غرار تجربة الكاتب "الطاهر وطار" الروائية، أن تقدم برؤية ثورية وأنفاس تقدمية، مرحلة جديدة لتطور الكتابة السردية، في ظل توجهات الواقعية الاشتراكية، مستفيدة من التراث والحداثة والواقع المعاش، انطلاقا من القناعة التاريخية أن الفن، « ليس مجرد تعبير عن الواقع، بل هو أداة فعالة لتغييره»(8).

عنيت الرواية ذات التوجهات الواقعية الانتقادية، بدراسة وتصوير العلاقات بين الشخصية في المجتمع، وسائر البنى الطبقية الاجتماعية الأخرى، وكذا علاقات الصراع القائمة بينها وبين المجتمع ومصيرها بعد ذلك. غير أن هذه الدراسة وهذا التصوير الفنيين، غالبا ما كانا يتصفا بالتعامل مع الجوانب الظاهرية فقط للظاهرة الاجتماعية. وغالبا ما كان التسرع يميز تصوير ودراسة تلك الظاهرة.

أما في الرواية ذات التوجهات الواقعية الاشتراكية، فالمجتمع بأكمله مجال للتصوير والدراسة والإثراء. وقد حاولت الواقعية الاشتراكية جاهدة من خلال منتجاتها الروائية، أن تطرح البديل الثوري للمجتمع الحقيقي، الذي يرفض العلاقات الاجتماعية الجائرة، والتي تجعل من الإنسان مجرد كيان سلبي، لا يحقق غير المنفعة المادية الصرفة، وفق منظور "براغماتي" لا يمنحه كيانا إيجابيا.

وهي القيمة الإيجابية الهامة، التي تؤكد بأن الواقعية الاشتراكية في "الجزائر"، مؤهلة تاريخيا لاستقطاب المزيد، من الكتابات الروائية لشباب طليعي جديد، يتميز بثقافة الإنتاج والتغيير. ولأن تؤدي أدوارا كبيرة، دون الاقتصار على أسماء لامعة بحجم "الطاهر وطار" و "واسيني الأعرج"... وغيرهما من الأسماء الكبيرة. ونتيجة لتعقد المرحلة التاريخية، التي لم تعد القصة القصيرة مجالا أدبيا و ثقافيا وحيويا، لاستيعاب مختلف التناقضات التاريخية والصراعات الاجتماعية، كان لزاما على الرواية أن تتأسس كشكل أدبي، وكنتاج للتطورات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة، لاحتواء وإثراء مختلف التحولات الجديدة في "جزائر" الاستقلال.

تعالج رواية "اللاز" للكاتب الجزائري "الطاهر وطار"، موضوعا هاما ربما يكون متفردا من حيث توجهات الرواية الجزائرية الحديثة في معالجته. ويتمثل في التعقيدات التاريخية التي صاحبت اندلاع ثورة التحرير في "الجزائر" سنة 1954م. وكانت المعالجة متعلقة على وجه التحديد بالخلفيات التاريخية، وأنماط التحالفات التي طرحت على مستوى القوى الوطنية، التي اتفقت في لحظة تاريخية حاسمة على تحرير "الجزائر" من ربقة الاستعمار الفرنسي.

حاول النص تركيز كافة إمكاناته الإبداعية والجمالية، على كل السلبيات التي صاحبت، التطورات التي عرفتها وقائع ثورة التحرير في أوانها. وهي سلبيات طبيعية، عادة ما تصاحب أية ثورة تحريرية تقوم في العالم، باعتبارها ثورة تضم مختلف الفئات البشرية، غير المنسجمة من حيث الانتماء الطبقي بشكل كلي، وإن كان الهدف المشترك بين مختلف تلك الفئات الشعبية واحدا، هو الكفاح من أجل استقلال "الجزائر". وطبيعي أن توجد للثورة ضحايا، حيث كان "زيدان" الشخصية اليسارية والهامة في الرواية الضحية الفعلية للثورة، نتيجة تمسكه بانتماءاته اليسارية. وقد جعل منه النص، شخصية كاملة من حيث الفاعلية والإسهام في تطور الأحداث، ومنحها أبعادها التاريخية الإيجابية والمنتجة.

تكون شخصية "زيدان" على مستوى النص، في خدمة الثورة التحريرية بالإضافة إلى تسخير خبرتها النضالية من أجل ذلك، علما بأن هذه الشخصية التحقت بصفوف "جبهة التحرير الوطني"، بمحض إرادتها واختيارها، وكان من الممكن ألا تلتحق على الإطلاق. لكن التاريخ الطبقي لـ"زيدان" ونزوعاته التغييرية ذات الأبعاد الثورية، ما كانا يبعدانه عن التقاعس عن أداء واجبه الوطني والتاريخي إزاء بلده. ويمنعانه من خيانة الوطن والثورة، التي كان هو ورفاقه من اليساريين "الأمميين"، يتفانون في خدمتها. والتضحية في سبيلها، ثم يتهمون بعد ذلك بالتقصير في حقها.

ورغم أن شخصية "زيدان" شخصية حساسة، غير أن وجودها الاجتماعي والوعي بقيمة وأهمية موقعها التاريخي، يقودانه دوما نحو الإخلاص في أداء واجبه الوطني والتاريخي؛ فحتى الخطأ الذي ارتكبه يوما ما، مع "مريانة" في الغابة وكانت نتيجته "اللاز" بقي يؤرقه باستمرار. وهو الخطأ الذي بقي يستحضره، ويضغط على ذاكرته إلى غاية تصفيته.

تظهر شخصية "اللاز" في النص، كشخصية طائشة، بعنف نزقي وتصرفات طفولية. يعرف "اللاز" أعدائه بحسه الغريزي الذي يقارب الحس "الحيواني". غير أنه سرعان ما يجد نفسه، مسخرا لكافة طاقاته الخامة لفائدة الثورة. حيث يعرف وقتها أن "زيدانا" هو والده الحقيقي. فيكلف من يومها بالمهمات العصيبة، لمعرفته بطبيعة المنطقة. وتقوم الثورة بشحذ همه، بكافة مصاعبها ومتاعبها.

وضمن هذه الأجواء الصعبة، والتي تصل إلى درجة التعقيد يتعرف القارئ، على "حمو" وهو أخ "زيدان"، الذي يمثل أنموذج الإنسان الشعبي المقهور والمستلب الإرادة. تحركه باستمرار حاسته الطبقية، الذي تعرفه بطبيعة وجوده الاجتماعي.

رغم فشل "اللاز" في مواجهة واقعه التاريخي المعقد والملئ بالتناقضات، فإنه لا يقبل على الخيانة الوطنية، عكس ما قام به "بعطوش" المجند الفقير، الذي لم يتوان عن مضاجعة خالته "حيزية" زوجة

"الربيعي"، بأمر من الضابط الفرنسي. وفي لحظة جنونية غير محسوبة، يقدم على قتل "مريانة" أم "اللاز"، ومثل هذه الأفعال مثلت أكثر اللحظات القاسية التي عاشها "بعطوش"، والتي كان لها بالغ الأثر، في تشكل وعيه الوطني الجديد ليقوم بالهرب من الثكنة العسكرية، ويهرب كل السجناء بمن فيهم "اللاز".ويقوم باقتحام الثكنة وتدميرها، ليتحول إلى مناضل وطني حقيقي، في صفوف "جبهة التحرير الوطني".

إن استيقاظ الوعي التاريخي والطبقي لدى "بعطوش"، جعله يتحول إلى شخصية أكثر إيجابية، من خلال التعاطي مع واقعه برؤية ثورية تغييرية مؤثرة، بالالتحاق بصفوف الثورة التحريرية، والابتعاد عن الخيانة الوطنية.

ومقابل هذه المفاهيم الجديدة وهذه الشخصيات الشعبية، التي ظلت وفية لمبادئها الثورية إلى الأبد، هناك شخصية "الشيخ" بوقارها المفتعل، والتي حققت رداءة تاريخية. ومع أنها مثلت على مستوى النص، أنموذج الإنسان الوطني الملتزم، غير أنها لم تلبث أن أكدت منظورا رجعيا ضمن مسار تطور الحركة الوطنية في "الجزائر".

يقدم "الشيخ" على نصب كمين لـ"زيدان" ورفاقه، فيقوم بإعدامهم أمام "اللاز"، لأنهم رفضوا التخلي عن معتقدهم الإيديولوجي اليساري، وخيانة مبادئ "الحزب الشيوعي الجزائري" الذي كانوا ينتمون إليه.

وأمام منظر الإعدام البشع، الذي تعرض له "زيدان" ورفاقه بأمر من "الشيخ"، يصاب "اللاز" بحالة هستيرية مزمنة وصامتة، ولم يعد يتذكر من حياته غير مثل شعبي، حفظه من والده "زيدان" يتضمن الأصالة والإخلاص. والاستماتة في سبيل العقيدة والمبادئ والأهداف، وهو (ما يبقى في الوادي غير حجاره). وهو المثل الذي يحمل في ثناياه أيضا –من منظور النص- معاني سياسية وعقيدية عميقة للغاية.

رغم هذه التصفيات الجسيمة في صفوف الثورة التحريرية، نتيجة عدم الانسجام الإيديولوجي والعقيدي بين مناضليها، استمرت الثورة في مسيرتها التحررية، لأن الزخم الشعبي الجزائري بأبعاده الثورية، كان يتجاوز أحلام وطموحات الفئات البرجوازية الصغيرة. فالواقع الطبقي في "الجزائر"، هو الذي كان يصنع خصوصية الأحداث التاريخية، ويعطيها نمط الوعي التحرري وفق مقتضيات الظرف التاريخي القائم آنذاك. وتشكل الوعي للفئات الشعبية الفقيرة، كان بشكل عفوي، لأن هذه الفئات ضيعت كل ما تملكه، فلم يعد بحوزتها شيء تخسره، غير الانتصار لقضيتها التاريخية، وفق ما تمليه قيم الثورة التحريرية. ومن هنا تبرز حيثيات« البعد الاجتماعي في تصوير حياة هؤلاء الناس وهؤلاء المناضلين الجزائريين. فهم كلهم قد نبتوا من طبقة اجتماعية فقيرة، حزهم الفقر بنابه حتى وصل إلى أعماق أجسامهم، ولكنه لم يستطع أن يجمد فيهم الثورة، والإباء والتطلع إلى الخلاص؛ بل لعل هذا الوضع الاجتماعي ،كان دافعا من دوافع التطلع إلى الخلاص»(9).

وبغرض الوصول للتجسيد الجمالي للمأساة الإنسانية، التي كان يعيشها الإنسان الجزائري خلال المرحلة الاستعمارية، وكشف أخطاء وتجاوزات الحركة الوطنية، كان لزاما على النص وسائر النصوص السردية الجزائرية، التي التزمت بالواقعية الاشتراكية. والتي اعتمدت المنظور العلمي في فهم عملية التطور

التاريخي، أن يتلاحم التفكير العلمي للنص والمثل الأعلى للاشتراكية، « بالفهم العميق للواقع والتطور الموضوعي، لتلك القوى الاجتماعية القادرة على جعل هذه المثل حقيقة واقعة»(10).

4.التحولات الجدلية للأنساق السردية:

تطرح رواية "اللاز" كل المقولات السياسية الأساسية، البسيطة والمعقدة بدءا من استذكارات "الربيعي"، الذي يقف في الطابور لاستلام منحة ابنه "قدور" "الشهيد" كل فصل (ثلاثة أشهر). ومن خلال عملية الاستذكار هذه يمنح النص للقارئ، إمكانية التمتع بآليات تطور أحداث ووقائع الرواية، من خلال التحولات المستمرة للبنية الدرامية، بعيدا عن منطق المصادفة والنهايات الجبرية الجاهزة؛ إنما يرسم النص توجهات بعيدة، مليئة بالرموز والإشارات والإحالات الجمالية.

تطرح استذكارات "الربيعي" بداية كأهم منفذ ينفذ منه النص، ليقدم وجهة نظر هامة، لطبيعة البناء الفني للرواية، وإيصال الأفكار وطرحها للنقاش، من خلال استعادة وقائع الماضي النضالي، بكل آماله وآلامه. وطرح كل التناقضات الأساسية التي فرضتها المرحلة التاريخية.

وطبيعي جدا أن يطرح النص، بداية من خلال استذكارات "الربيعي"، نظرة المجتمع "للشهيد" وتضحياته في سبيل تحرير الوطن؛ إذ ينبغي ألا ترتبط نظرة المجتمع "للشهيد"، بمجرد منحة فصلية يتقضاها ذووه، لتطوى ذكراه بعد ذلك بمجرد طيها في الجيوب.« أنانيين، نرضى أن يتحول شهداؤنا الأعزاء إلى مجرد بطاقات في جيوبنا نستظهرها أمام مكتب المنح، مرة كل ثلاثة أشهر، ثم نطويها مع دريهمات في انتظار المنحة القادمة»(11).

هذا الموقف الإنساني ليس وليد الصدفة من منظور النص. حيث تم التعبير عنه، وفق ما يجب أن يكون عليه "الشهداء" من تقدير واعتزاز. وليس مجرد بطاقات تذر كل فصل منحة مالية ، بغرض الإعانة. وكان لزاما على جيل الاستقلال تذكر "الشهداء"، والاعتزاز بهم، والاعتبار بتضحياتهم، كفئة نضالية شعبية قدمت أرواحها في سبيل استقلال الوطن. وواضح جدا أن النص هنا، يقدم خلفية تاريخية للحال التي آلت إليها ذكرى "الشهداء" ، بعد الاستقلال وبداية ظهور الثروة وتحول النمط المعيشي للمجتمع، عما كان عليه من قبل.

مثل هذه المفاهيم كانت الفاتحة الأولية والهامة، من خلال ارتدادات "الربيعي" الاستذكارية، إلى وقائع ثورة التحرير، وإلى واقع "الشهداء"، الذين صاروا مجرد بطاقات استنفاعية في الجيوب، مع أن الواجب التاريخي يعطي الأحقية، في تكريم "الشهداء" وحفظ ذكراهم دائما. لذلك سمحت هذه الرؤية الفنية للنص بالانطلاق من أعماق ثورة التحرير، فجاء تصوير وقائعها من الداخل.

يتحول النص عن شخصية "الربيعي" إلى حياة الأبطال الجوهريين للثورة، الذين جسدوا الحلم الثوري، ومتابعتهم بشكل متواز، وأحيانا بشكل متقطع؛ علما أن شخصية "اللاز"، شخصية متفردة تشكل القواسم المحورية والمشتركة لكافة شخصيات الرواية. فهي شخصية عفوية وطائشة، وحسنة النية، تخطئ كثيرا وتتعطش للحرية.

وتتأسس شخصية "زيدان" كشخصية محورية أساسية على امتداد النص، تبنى عليها أكثرية أحداث الرواية. فهي شخصية ثورية ونموذجية في الالتزام بعقيدتها الإيديولوجية. ولا يعني الالتزام هنا، النمط السلبي في تمثل العقيدة الفكرية أو الإيديولوجية، إنما الالتزام هنا هو الفاعلية الإيجابية في تمثل العقيدة واقعيا. لأن التهاون الفكري « في ظل الظروف التي عاشها زيدان ورفاقه الأجانب الذين التحقوا بالثورة لقناعاتهم الثورية، يعني الخيانة بكل بساطة، مهما قنعت هذه الخيانة بمختلف الأشكال الثورية العاجزة عن الفعل»(12). ويقدم النص من خلال شخصية "زيدان" ورفاقه، نماذج القوى الطليعية التي تقدم على تفعيل العملية التاريخية تفعيلا كليا، وبأقصى ما يمكن تجسيده من الناحية الجمالية والفنية. وتدين في الآن ذاته القوى الرجعية المناقضة، التي تطمح لإبادة النظرية الثورية في أسسها العلمية، من خلال تصفية "زيدان" ورفاقه، واستبدالها بالفكر "الطوباوي"، الذي لا يتعامل مع الظواهر الاجتماعية والتاريخية، إلا من منظور السكونية والثبات. وهي القوى الرجعية ذاتها التي قامت بتصفية "زيدان" ورفاقه لفائدة الاستعمار الفرنسي، لأنها تدرك مسبقا، خطورة الإيديولوجيا التقدمية الاشتراكية، على القناعات والقيم الاستعمارية، التي تتبنى أنظمة الاستغلال والتفاوت الطبقي. « يقين أن الأحمر اللعين هو الذي يخطط لهم. تدرب في صفوفنا وتثقف في مدارسنا وسبقتنا إليه موسكو»(13).

إن وجود شخصية "زيدان" كما يطرحها النص، ضمن التطورات التاريخية للحركة الوطنية، يعني بوضوح غلق كل الأبواب أمام الاستعمار، وقيم البرجوازية الفرنسية خاصة، خلال الحقبة التاريخية للاستعمار الفرنسي في "الجزائر"، أو حتى بعد الاستقلال. لأن النضال الوطني التحرري، ليس بمعزل عن حركة البناء الوطني بعد الاستقلال. والتي كان بناء المجتمع الجزائري وفق النهج الاشتراكي هدفا لها. من هنا يتضح الحقد الذي أكنه الشيخ لـ"زيدان" ورفاقه، والذي أقبل على تصفيتهم، تحقيقا لطموحات برجوازية، أو أهداف استعمارية علمها أم لم يعلمها. وفي الآن ذاته كانت تصفية "زيدان" ورفاقه أمام أنظار "اللاز"، تصفية لطموحات فئات شعبية كبيرة، ومصادرة للقيم الإنسانية النبيلة.

وإن مثل موقف كهذا بالنسبة للاستعمار، نظرة تاريخية تدخل ضمن قيم البرجوازية الأوروبية. وهي تعرف تطوراتها التاريخية السريعة وقتها، فهو بالنسبة "للشيخ" يمثل طموحات طبقية، يسعى لتحقيقها في مرحلة ما بعد الاستقلال، والمنافسة على تكوين الثروة. لذلك مثلت استماتة "زيدان" ورفاقه في دفاعهم عن مبادئهم "الشيوعية"، الامتداد الطبيعي لقيم ثورة التحرير، التي آمنت منذ انطلاقها بأهمية كل القوى الوطنية، على اختلافها في سبيل الانتصار للقضية الوطنية. ويكون "زيدان" على مستوى رواية "اللاز" الشخصية السردية الوحيدة قضية الثورة الوطنية، برؤية علمية وموضوعية صحيحة. وربما هذا الموقف، هو ما جعل حياته فداء لتلك القناعات الإيديولوجية.

وقناعاته تلك كانت تستهدف بالدرجة الأولى، الطموحات البرجوازية الكبيرة، التي كان يعسى الشيخ هو وأمثاله لتحقيقها في "جزائر" الاستقلال. لذلك كان إصرار "زيدان" على أن الحركة الوطنية،« ينبغي أن تتبنى الصراع الطبقي من الآن. وإلا بقيت مجرد، حركة تحرر. الخطر، كل الخطر أن يحولها الاستعمار إلى صالحه، فيعلن عن انتهائها، ليخلف الوطن بين أيدي العملاء والصنائع»(14).

تمثل رؤية كهذه، أنموذجا حيا لتنبؤ "زيدان" ومخاوفه لما يمكن أن تؤول إليه "الجزائر" بعد كفاحها، من مصادرة ثورتها الشعبية، والاستيلاء على ثرواتها من لدن قوى داخلية موالية للاستعمار الفرنسي. وهذا التنبؤ هو نتاج تجارب "زيدان" مع القيادات الليبرالية التي كانت تهدف، إلى السيطرة على مسارات الثورة، واحتوائها من الداخل؛ بهدف ثنيها عن مسارها الشعبي. وربما كان هنا التلميح لضرورة وجود نخبة طليعية ناضجة، تقود المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، نحو تحقيق أهداف البناء والتقدم. ولعل هذا ما كان مفتقدا، خلال سنوات ثورة التحرير، أين كانت اهتمامات القوى الوطنية، منصبة فقط على تحرير "الجزائر" من ربقة الاستعمار الفرنسي، دون التحسب لما يمكن أن يكون عليه مستقبل "الجزائر" فيما بعد. وواضح أن النخبة الوطنية التي قادت "الجزائر"، غداة الاستقلال لا ينقصها الوازع الوطني ، والإخلاص لقضايا الثورة؛ غير أن هذا لم ينفي وجود فئات بطموحات برجوازية، سعت لتحقيق رؤية طبقية استغلالية يكون عليها المجتمع الجزائري فيما بعد، عبر تفعيل أنظمة الاحتكار الفئوي، بغرض تحقيق الاستغلال المادي المفرد للثروة. لأن السمات التقدمية التي يمكن أن تتصف بها البرجوازية الوطنية، إضافة إلى الجوانب الرجعية التي يمكن أن تلازمها، والتي عادة ما تكون منبثقة عن نمطها الاستغلالي، تظهر بداية محتفظة بقوتها وأهميتها، لا خلال فترة الصراع من أجل التحرر فقط؛ بل حتى بعد استقلال البلدان التي استولت فيها البرجوازية الوطنية على الحكم، وصارت هي الأجهزة الحاكمة فيها.

وعن علاقات الصراع والتحولات التاريخية المصيرية، التي أثبتها النص؛ تبدو أنماط هذه العلاقات على درجة من الحدة، نتيجة تباين وجهات النظر على المستوى الإيديولوجي. حيث يبدو "الشيخ" متمسكا بتقاليد وأعراف اجتماعية ودينية يقرها المجتمع الجزائري، وهي ذاتها التقاليد التي شكلت المغزى الحضاري للمجتمع، وحددت طبيعة انتمائه. غير أن الإشكالية تبدو هنا، في حال تحول الدين، إلى إمكانية للتدجين الجماهيري، بدل إلى إمكانية للتحرر والانقلاب على أوضاع طبقية استغلالية. ونتيجة للانتشار الواسع الذي يعرفه الدين، كان لزاما على البرجوازية الحاكمة أن تأخذ بعين الاعتبار، هذه الخاصية الهامة، التي يتمتع بها الوازع الديني، دون سواه من الحساسيات الإيديولوجية الأخرى. وهذا ما شكل الهاجس الكبير لدى "الشيخ"، حول إن كان "زيدان" ، لا يزال شيوعيا أم لا؟..« المسؤول سألني في المرة الأخيرة، هل ما زلت شيوعيا أحمرا؟.. أفهمته بأن الشيوعية ليست رداء ننزعه في الوقت الذي نشاء وأنها عقيدة تقوم على الاقتناع المدرك للحياة»(15). هذا الكلام صادر عن "زيدان" في لقائه بـ"الشيخ" قبل تصفيته. وسؤال "الشيخ" لـ"زيدان" كان محددا، تبعا لما كان يريده، من جواب يبني عليه فيما بعد وجهة نظر، هي من صميم الانتماء الطبقي الذي يرغب في أن يكون ضمنه.

ومثل هذه التفاصيل ذات الإطار الإيديولوجي الصرف، تعكس الفترة التاريخية الصعبة، التي كانت تمر بها الثورة التحريرية، عندما بدأت تشهد تطورات جديدة للصراع، وصلت إلى حد التصفيات الجسدية، علما بأن تلك المرحلة التاريخية في حد ذاتها، كانت تتطلب تكتلا والتحاما نوعيين بين مختلف القوى الوطنية، من أجل تحقيق الاستقلال. ربما حاول النص من هذه الناحية، الكشف « عن رؤيته ووعيه من خلال رسم واقع محدد، هو واقع الصراع والنضال الذي كان يعيشه الشعب الجزائري وآثاره الإيجابية

والسلبية على مسار حركية المجتمع وتطوره؛ وهو بذلك يجسد وعيه العام. ذلك أن المبدع حينما يعيد تشكيل الواقع لا ينطلق من وعي فردي متعال، وإنما ينطلق من وعيه العام، وهو ما يجعل عمله عملا طليعيا لاحتوائه المضامين الاجتماعية والإنسانية على حد سواء»(16).

وفي الوقت الذي يشكل فيه موت "زيدان" ضرورة ملحة بالنسبة "للشيخ"، ليتمكن بعد ذلك من توجيه الثورة قبل نهايتها وفق طموحاته الطبقية. هذا يعني انعدام التوجيه العلمي والإيديولوجي، لمجتمع "الجزائر" بعد الاستقلال. مع أنه يمكن الالتقاء مع رؤية الشيخ، على الأقل في مرحلة الثورة التحريرية، من أجل تحقيق الهدف المنشود، للقوى الوطنية وهو الاستقلال. وهذا بحكم أن الشيخ هو الآخر، له هاجس تحقيق الاستقلال، وهو هدف يسعى من أجله. لكن أن يسقط "الشيخ" في حبائل التوجهات "الإمبريالية" تلك مشكلة حقيقية، من شأنها أن تجعل منه شخصية منتهية تاريخيا.« وضعي خاص، لو كنت أي شيوعي آخر، لقضى علي دون استشارة أحد. أكد على ذلك مرارا وكأنما يهددني، ولست أدري ما أثرت فيه بتأكيدي إن العمل العاجل أمامنا هو القضاء على العدو المستعمر أولا، وبعد ذلك ننصرف إلى شؤوننا»(17).

إن الطرح الذي قدمه "زيدان" هنا، على درجة من الأهمية، كونه طرحا يتجاوز حدود "الآنية". ولا يعترف بالحدود الشخصية الضيقة، أو الخلافات التي من شأنها تحجيم قيمة وأهمية العمل الثوري التحرري. كان الأولى ترك الخلافات الطبقية والإيديولوجية جانبا، إلى غاية تحرير البلاد من المستعمر، ثم التفرغ بعد ذلك، لتصفية الخلافات الإيديولوجية والعقيدية بطرق حضارية. لذلك يكون "زيدان" مجبرا على خوض حرب عميقة على جبهتين، الأولى متعلقة بتصفية الاستعمار الفرنسي في البلاد. والثانية ضد معتقدات "الشيخ" "الطوباوية"، التي تكرس معاني القدرية والإقصاء والتخلف في كل الأحوال.

ويجسد نص الرواية بدقة كبيرة، وبموضوعية أنماط المواقف الاجتماعية، وطبيعة تفاوت الاستجابات وتباين الأوضاع، على الرغم من المعاناة المشتركة للفئات الشعبية الجزائرية، من واقع طبقي متعفن، أوجدته الطبقة الكولونيالية، برؤاها الرأسمالية الاستغلالية. ومشحون بالحقد والثورة عليه أيضا. وقد عكست الرواية قيمة الإنسان الجزائري كفرد، له مواقفه الإيجابية والتأثيرية إزاء وجوده التاريخي والاجتماعي، وإزاء جدلية التغيير المتبادل بين الثورة كفعل وطني والإنسان في علاقته بالثورة. ووعي النص بفاعلية الشخصية الإنسانية والجدلية، وعلاقتها بالواقع وبالوجود، هو الأساس المحوري لرؤية النص الثورية للعالم وجدلية تطوره.

توصل النص بإمكانيات فنية جيدة، وبتجارب سردية مميزة وصادقة، وبرؤية تصويرية جمالية عالية وجديدة على الرواية الجزائرية الحديثة، من تصوير طبيعة وأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة، بين الإنسان الجزائري، وطبيعة سياقاته التاريخية والاجتماعية ضمن أطرها المادية الصرفة. كما تميزت رؤية النص بموضوعية فعلية، من خلال هموم وانشغالات "زيدان" المحورية، بمختلف أبعادها حتى في لحظات ضعفه الطبيعية. وتتمثل موضوعية النص في التصوير الواقعي الدقيق، الذي جعل من الرواية تنحو منحى ثوريا و ملحميا.

لذلك فصورة الإنسان في رواية "اللاز"، لا تتمثل في كونها صورة تدل على محيط إنساني فقط؛ لأن الإنسان يمثل المحور الفعلي لعملية التطور التاريخي والاجتماعي. وأهم القوى المحركة لعملية التطور التاريخي المستمر. وفق هذا فالإنسان يؤثر تأثيرا عميقا في التاريخ ومحيطه الاجتماعي، محولا إياهما إلى مجال من العلاقات الحيوية القابلة للصراع، نتيجة عوامل التناقض القائمة في الحياة، والظروف التاريخية التي تميزها.

من هنا كانت الصراعات المميزة لطبيعة الحياة الواقعية، بكافة تناقضاتها منعكسة بصورة موضوعية في رواية "اللاز". ولا تبدو عوامل التناقض والصراع من خلال شخصية "زيدان"، المندمجة ضمن أطر المعطى التاريخي والحياة الاجتماعية القائمة. أو حتى من خلال طبيعة البنى الطبقية التي يشكل "الشيخ" أحد محاورها الأساسية؛ إنما أيضا من خلال العلاقات القائمة بين الشخصيات. وتصوراتها عن الحياة، ونظرتها للواجب التاريخي والالتزامات الأساسية، التي يفرضها المعطى التاريخي القائم.

تمكن النص من خلال شخصية "زيدان"، من تحديد أنماط القوى الاجتماعية الأساسية، التي شكلت الأدوار الهامة، في النضال التاريخي الوطني خلال الثورة، وتحديد طبيعة وعيها الاجتماعي أيضا. لذا فالقيمة الفنية لمثل هذه الشخصيات المحورية في النص، لا تتحدد في قيمة وطبيعة الدور التاريخي الذي تؤديه فحسب، إنما تتحدد كذلك من خلال إمكانيات النص الفنية وقدرته على تحديد الملامح المعنوية والإيديولوجية وحتى الفكرية، لتلك الشخصيات الرئيسة. وهذا يعكس حتما قدرة النص، على تمثل الموضوع الأساسي الذي يتضمنه. وهذا يتطلب من جانب آخر، القدرة الكاملة على تمثل الواقع المعاش مسبقا.

يوصل النص القارئ من خلال التحديدات الأساسية، التي وضعها لشخصية "الشيخ"، وشخصية "زيدان"، إلى نتيجة حتمية مفادها، « أن الذي يحدد وجهة الثورة، ليست القوى المرتبطة بالماضي الاقطاعي، وليست القوى المرتبطة بالاستعمار، بل على العكس من ذلك، فالذين يبنون المستقبل، هم الفقراء، الذين يناضلون من أجل تجسيد هذا المستقبل الذي تحاول الرجعية تشويهه»(18). إلا أن الدور الهام لهؤلاء الفقراء الذين ينتمون للفئات البسيطة من أبناء الشعب، أمثال "زيدان"، "حمو"، "اللاز"، "مريانة"، "بعطوش"،... وغيرهم من شخوص النص، يمكن أن يشكل عقبة كؤود أمام طموحات "الشيخ" وأمثاله. مثل هذه الشخصيات، هي في واقعها المادي شخصيات معدمة، لا تملك شيئا من متاع الحياة، غير أرواحها التي تناضل بها، من أجل قناعاتها الفطرية والإيديولوجية. ولا ترتبط بالماضي، لأن واقعها ملئ بالصراعات المختلفة، التي تصل حد التناقض والتعقيد، لأنها شخصيات فقدت كل شيء، ولم تعد تخشى أي شيء.

« حدث قدور نفسه، ثم تساءل:

-ياحمو، من منا تغير؟

-لا أنا ولا أنت. الظروف تغيرت. أنا فقير جدا. أقل من فقير، وأنت متوسط الحال، بل غني. دكانكم يعمر شيئا فشيئا، وأرضكم، صرتم تفلحونها وحدكم، بعد مدة تشترون شاحنة، وبعد مدة أخرى تشترون جرارا، وتكبرون وتكبرون حتى لا يبقى في إمكانكم تمييز من تحتكم.. نحن لا شيء يربطنا بالماضي، وأنتم لا شيء يدفعكم إلى المستقبل. ولم يبق بيننا إلا رابط واحد، هو الحاضر، هذا الحاضر الذي أتعاون وزيدان أخي

وكل الفقراء على صنعه، والذي تريدون أنتم أن تبقوا متفرجين عليه.. بعضكم تفرج والبعض الآخر يعمل على عرقلته وهدمه. يا ابن عمي، في حين أنا غاطس، أنت متردد»(19).

هذه هي شخصية "حمو" "الحمامجي" التي يعلن عنها النص، بشكل أكثر تعقيدا، نتيجة ما تعانيه من تجاوزات وحيف اجتماعي. فما يقوله "حمو" لـ"قدور" يمثل حالة وعي من الانفصال الطبقي بين الاثنين. "قدور" يكون متفرجا على الوضع ومتردد في الآن نفسه، ويعمل على عرقلة إمكانات تغيير الوضع القائم. فهو بذلك يمثل البرجوازية الجزائرية الصغيرة، التي عمل الاستعمار الفرنسي باستمرار على إيجادها، خلال عقود تواجده في "الجزائر". و"حمو" مندرج في عملية الصراع التاريخي والاجتماعي، شأنه شأن أخيه "زيدان" وسائر الفقراء. ويعملون باستمرار على تغيير الوضع القائم.

ذلك هو الوعي الطبقي الذي تميز به "حمو"، من خلال شخصية غلبت عليها ظروف الواقع الاجتماعي المعقدة، والتي شحذتها مختلف الظروف الحياتية والتجارب الاجتماعية الصعبة. وتمكنت من تحديد تصوراتها الطبقية إزاء طبيعة وأنماط البرجوازية الجزائرية الصغيرة، التي يمثلها "قدور" في النص برؤية علمية بسيطة، لكنها أكثر موضوعية وواقعية. فـ"قدور" لا يهتم بقيمة وأهمية التطور التاريخي للمستقبل. هذا التطور الذي تصنعه وتبنيه القوى الوطنية العاملة، من أجل تحقيق الاستقلال الوطني آنذاك. وفي هذه الحال هو أنموذج للبرجوازية الجزائرية الصغيرة، والتي في حال استمراره ضمن قناعاتها التي تمثلها أسرته، فإنه في هذه الحال، سيفقد حتما قيمته كبرجوازي صغير، ويفقد كذلك أساليب التطور والتحول التي تصنعهما التحولات المستمرة للتاريخ. غير أن تطورات الأحداث السردية في النص، تحمله إلى آفاق الخلاص من الحلقات المفرغة، التي صنعتها القناعات الاستغلالية، التي كانت تحكم خناقها الطبقي عليه. وتحيط قناعاته التاريخية، التي قد تحمله إلى حد السقوط في حبائل قيم "الإمبريالية" الرأسمالية.

على الرغم مما تحمله البرجوازية الصغيرة، من ظروف التحول في البدايات الأولى لنموها وتطورها، فهي لا تتردد مطلقا في ممارسة أحلامها ولو كانت "شوفينية" إلى حد ما. والذي أنقذ "قدور" من حبائل تلك البرجوازية، هو تمرده على واقعه الطبقي أولا، ثم اتصافه بالروح الثورية التي تحلى بها، والتي فسرها انضمامه للكفاح في صفوف "جبهة التحرير الوطني". وهذا ما جعل الكثير من مفاهيمه السابقة، عن الواقع والحياة تتغير بسرعة. مما جعله يكون "شهيدا" في سبيل القضية الوطنية، بكل ما يحمله من قناعة في سبيل الحرية، والتغيير التاريخي والاجتماعي.

وضمن هذه الأحداث التاريخية المتراكمة، والتي جعلت تعرف تطورات مستمرة وصلت إلى حد التعقيد، شخصية "قدور" شخصية نامية، تنتمي للبرجوازية الجزائرية الصغيرة، التي لا تهتم كيف تتحول من واقعها السلبي، إلى شخصية متعاطية مع القيم الثورية والنضال، وواعية أيضا بالشرط التاريخي الذي فرضته التحولات التاريخية والاجتماعية الجديدة.

يفسر هذا طبيعة أساليب التعبير في الواقعية الاشتراكية، والتي غالبا ما تتميز بقوة غير محدودة، لتمكين مختلف النماذج البشرية في النص، من تحديد مواقفها التاريخية، والتعبير عن وعيها وأوضاعها، من منظور واقعها الطبقي المعاش. فالواقعية الاشتراكية باعتبارها رؤية فنية وفكرية تعكس حركة وتوجهات

الجماهير الشعبية. وتعتبر الشعب كقوة طليعية خلاقة، توجه الأحداث التاريخية،« تكتسب بالضرورة السمات المميزة لديمقراطية رفيعة، ولهذا فهي تتناول بوصفها فنا ثوريا حقيقيا الظواهر التقدمية الجديدة، التي تتجلى في وعي الجماهير الشعبية ووعي العامل»(20).

ولو كانت رواية "اللاز" غير النص الروائي، الملتزم بالخصائص الجمالية للواقعية الاشتراكية، التي تمكن من التعامل مع حيثيات الواقع، بمنظور علمي وموضوعي، لما تمكنت من الكشف بواقعية سليمة، عن الوجه الإنساني لشخصية "زيدان" الثورية. ولما تمكنت أيضا من تمثل، أبعاد شخصية "اللاز" الرمزية، بكل تلك القوة والجمالية الفنية.

5.الشخصية السردية.. التحول والنمو:

مثلت شخصية "اللاز" في النهاية الشعب الجزائري، بشرائحه الاجتماعية البسيطة، والذي سيرث بعد وقت آلام أبيه "زيدان" ورفاقه الذين ذهبوا ضحية التصفيات الجسدية، مؤثرين بقاء قناعاتهم الإيديولوجية والثورية إلى الأبد، وهنا تكمن قيمتهم وأهميتهم التاريخية.

شخصية "اللاز" تتراءى بداية كشخصية طفولية نزقة، ومع ذلك فـ"اللاز" هو المجسد لذاكرة وأحلام الشعب الجزائري، وقيم ثورة التحرير التي لا تمحوها صروف الزمن. و"اللاز" يظهر وفق هذا الشكل، ويبقى بكامل زخمه الثوري الذي تحمله ذاكرته. وهو بهذا يمثل التواصل التاريخي، والرؤية الثورية التي ستقول كلمتها حين تحين اللحظة التاريخية الحاسمة.

ومع أن شخصية "اللاز" ليست شخصية ذات وعي ناضج، وربما تفتقد للوعي في الكثير من المواطن، فهذا يجسد قدرات النص الإبداعية، على صنع شخصية ثورية، بدأت مع بداية الثورة التحريرية، وتعرضت لكل ما تعرضت له الثورة من مصاعب، ثم وجدت نفسها منغمسة بشكل كلي، مع كل تطورات الثورة. وتلك هي العلاقة الجدلية التي تجمع شخصية "اللاز" بالثورة التي يصنعها، مع أنه لا يملك إمكانات التحكم في دواليبها، لأنها خارجة عن الوعي التاريخي لـ"اللاز". وهي الثورة التي تصنع "اللاز"، وتعيد إنتاجه وفق آليات التطور الجديدة، وبكل ما تحمله التغيرات من مفارقات وتناقضات.

فكل لحظة تمر على الثورة التحريرية، هي جزء هام من حياة "اللاز" و من وعيه الذي صار يتجدد، مع تطور الواقع الثوري. والذي جعل من أعمال "اللاز" الطائشة، تتطور لتصير أعمالا ثورية منظمة.

أحب "اللاز" "زيدانا" لا لأنه والده فحسب، إنما أحبه لحكمته وذكائه، ونبل أخلاقه الثورية، التي صارت أعمالا منتجة ومنظمة في الآن ذاته. ليفهم "اللاز" مع تطور وعيه التاريخي والاجتماعي، وتطور تجاربه في الحياة، بأن العمل الثوري المنظم، أفضل وأهم بكثير من الطيش والسخط، اللذان غالبا ما يسقطان في اللعبة الاستعمارية. والتطور الذي عرفته شخصية "اللاز" على امتداد النص، جعلت منها شخصية تعي، بدافع الاحتكاك بالعمل الثوري، أن الثورة القائمة هي ثورة شعب بكامله، وأنه من الأصلح الوصول إلى تحديد قناعات أساسية، تمثل على وجه الخصوص، الاقتناع بالدور الطليعي للاشتراكية، كرؤية نموذجية لبناء المجتمع الجزائري الجديد. وحل مختلف المشاكل الاجتماعية، التي يمكن أن تواجه أبنائه فيما بعد. غير أن "اللاز" وبقية رفاقه الذين معه، أجبروا على عيش لحظات تاريخية استثنائية، لم تمكنه من التطور

الطبيعي المنشود. لأن زمن "اللاز" هو زمن الصراع الفعلي، من أجل تحقيق معطيات حضارية، قوامها الانتصار لحياة اقتصادية مادية بنمط جديد. وحتما الإنسان زمن الحرب، ليس هو ذاته قبل الحرب أو بعدها؛ أكيد ستكون هناك تغيرات حتمية. والوصول لتحقيق أهداف الثورة التي كانت حلم الشعب الجزائري، أو على الأقل ما كان الشعب يطمح للوصول إليه، « دلالة أخرى على أن اللاز لم يكن كتلة جامدة، ولم يطرح داخل هذه الرواية جاهزا خاضعا لنمطية أدبية معينة»(21). لذلك لم يكن بمحض الصدفة، أن توسم الرواية بعنوان لاسم شخصية رئيسة و هي "اللاز"، مع أن هناك شخصية رئيسة أخرى، أكثر حضورا منها، وأكثر تأثيرا في الأحداث، وهي شخصية "زيدان". هذه الرؤية الفنية الجمالية، في تطور وعي شخصية "اللاز" قابلها في النهاية، تحجيم أفعاله التي كان يقوم بها. لم يتطور "اللاز" ولم ينم كما ينبغي له النمو، كفرد من أبناء الشعب، نتيجة لظروفه الخاصة، التي كان يعيشها رفقة والده "زيدان" أيام الثورة. ولم تتمكن ثورة التحرير، رغم شيوعها وانتشارها، من تحديد منظورها الطبقي وأن يكون هذا المنظور، هو المحرك لعلاقات الصراع التي كانت تخوضها. وهذا ما كان يبدو من موقف النص صراحة،« هذه الحركة ينبغي أن تبنى على الصراع الطبقي من الآن»(22).

يفهم القارئ بداية، أن "اللاز" إذا ما خضع لظروف التطور الطبيعي، ينتهي حتما إلى قناعات والده "زيدان". وتظهر تساؤلات "اللاز" هذا التوقع « أبي المسكين.. الأحمر.. ترى لماذا هو أحمر لأنه يشتغل بالسياسة ويحقد على الأغنياء وأبنائهم المأفونين وبناتهم العاهرات. آه لو كنت أحسن القراءة مثل أبي، لكنت أحمرا بحق»(23). يبرز الأنموذج علاقة أبوية قوية بين الابن وأبيه، غير أن ما يبرز بقوة هو رغبة "اللاز" في الفهم، لماذا والده صار شيوعيا؟.. يقتصر فهم "اللاز" على منظور بسيط جدا، في الدواعي التي جعلت من والده شيوعيا، وهي كرهه للأغنياء وأبنائهم وبناتهم. بحكم أن الفوارق الطبقية في المجتمع، تصنعها العوامل الاقتصادية والمادية الصرفة. لذلك فالغنى والفقر، هما معيار التفاوت الطبقي في نظر "اللاز". هذا مظهر هام جدا، من مظاهر الاقتناع بالإيديولوجية "الماركسية". غير أن الأهم هو الوعي المطلق ، بقيمة الفلسفة الماركسية الفكرية وأهميتها في الحياة الإنسانية. لذلك لم يتجاوز وعي "اللاز" حدود السذاجة والبساطة الشعبية. هذه العفوية لا تتعارض مع التطور الذي من المفترض، أن تعرفه شخصية "اللاز". لأن الواقع الطبقي، كان بإمكانه قيادة "اللاز" مستقبلا نحو تحقيق القناعات الإيديولوجية التي كانت محل تساؤلاته.

هذه العوامل جميعا، من شأنها الإسهام في ولادة شخصية "لاز" جديدة، وهي الشخصية التي تمثل الأنموذج الواقعي للشعب ككل، الذي يطمح للانتصار في ثورته.

لا تمثل شخصية "اللاز" الشعب الجزائري المتجانس، بطموحاته ومختلف أطيافه وتوجهاته؛ إنما كانت الأنموذج الواقعي للتناقضات التاريخية والاجتماعية وحتى النفسية، التي كان يعيشها الشعب، خلال مرحلة تاريخية هامة. والتوجه نحو الاستقلال والبناء والتقدم، ليس من السهولة بمكان، إنما يقتضي الأمر استغلال التوجهات الثورية العفوية البسيطة، وجعلها طاقة واعية، وقادرة على إحداث التغيير، والاستجابة للشروط التاريخية القائمة. لأن الفقر الذي كان يعيشه "اللاز" « لا ينتهي إلى طبقة محددة بمفهومها الإنتاجي، وإنما هو نموذج لكل الفئات الجماهيرية التحتية التي تعاني مغبة الاضطهاد والقهر الاجتماعي. إنه

الصورة الكلية المصغرة للشعب الجزائري»(24)، كما يحدد ذلك النص، عبر أبعاده الرمزية. أو ما يقوله "زيدان": « اللاز؟؟ آه يا ابن خطيئتي وزناي.. وجدنا أنفسنا في الغابة كآدم وحواء، وحيدين، لم يكن في وسعنا إلا أن نبيت ملتصقين.. كان الفصل خريفا وكان الصقيع ينزل بعد الظهر.. فأنجبناك، شرارة طائشة، ولعنة صارخة.. فيك بذور كل هؤلاء يا اللاز.. بذور كل الحياة. .كالبحر.. لا لأنك الشعب برمته، الشعب المطلق بكل المفاهيم»(25). ربما رأي "زيدان" هنا، يحدد طبيعة الرمزية العميقة، التي مثلتها شخصية "اللاز"، كونها الشخصية المتناقضة التي مثلت ، اللفيف غير المتجانس للشعب الجزائري، خلال مرحلة تاريخية معينة، غير أنه قابل للتطور لأداء دوره التاريخي المنوط به.

عفوية الحديث في رواية "اللاز"، تجعل من الشخصيات العاملة على مستواها، أقرب ما تكون من الحقيقة الاجتماعية، لما تملكه من حس طبقي تاريخي، ودون وعي منها. غير أن هذا الحس يتطور لدى شخصيات الرواية على مستوى الواقع الذي تحياه وتعيشه بكافة تناقضاته، التي تصل أحيانا إلى حد التعقيد.

لم يكن الوعي التاريخي مفروضا على شخصيات الرواية، من لدن جهة خارجية معينة، إنما على العكس من ذلك؛ فشخصيات الرواية تمارس قناعاتها التاريخية، تبعا لتطورات الحدث الروائي، بشكل ينسجم إلى حد بعيد مع نمط تركيبتها الطبقية والثقافية. وتصل في النهاية إلى الانشغالات المنطقية، التي كانت تراود "اللاز" على امتداد الرواية. وفي الوقت الذي كان "اللاز" ينتظر الإجابة عن انشغالاته المطروحة، كان والده "زيدان" والرفاق الذين معه، يعدمون أمام ناظريه، لأنهم رفضوا التراجع عن قناعاتهم الإيديولوجية والتاريخية.

وأكثرية شخصيات الرواية، عندما يصلون إلى اللحظة التاريخية التي تمكنهم من ملامسة الواقع عن قرب، وطرح البديل التاريخي بطريقة عفوية، والمنسجم مع طبيعة الوجود الاجتماعي للفئات الشعبية، ينتابهم التردد والخوف القديم المتكررين، وينكفئون على أنفسهم ليصيروا بعد ذلك بطاقات ، وبفاعليات تاريخية واجتماعية محدودة. وهذا جوهر اختلافهم مع "زيدان"، الذي تمكن من تجاوز كل سلبيات الواقع، وما يشوبه من تناقضات.« لا فرق.. نقاتل جنبا إلى جنب، ونتحمل نفس المشاق، ننظر إلى العدو، نظرة واحدة.. فقط زيدان يفكر أحسن مني، أحسن منا جميعا.. آراؤه دائما صائبة، وأحكامه سليمة، وتنبؤاته صادقة.. ربما السبب في ذلك أنه متعلم بينما أنا أمي.. معنا بعض المتعلمين مثله. ولكنه يفكر أحسن منهم.. إذا كان هذا، لأنه أحمر، فيجب أن نحمر كلنا، يجب أن تحمر هذه الثورة كلها لتفكر تفكيرا سليما وتصدر أحكاما صحيحة.

ترى هل الشيوعية شيء محرم مثل الخمر والزنى، والسرقة والخيانة؟.. حسبما أكده المسؤول الكبير، فإنها أكثر من كل هذه المحرمات»(26).

يبدو الحديث الذي يقوله "حمو" في الأنموذج عفويا إلى حد بعيد. فهو يحمل تساؤلا مهما، وانشغالات هي من صميم واقعه الوجودي، رغم محدودية تفكيره. وهذا يثبت بوضوح صدقة الثوري، الذي هو نتاج وجوده الاجتماعي.

والعفوية التي اتصف بها "حمو" وسائر شخصيات الرواية، تثبت أصالة رواية "اللاز" وصدقها الفني. كما مثلت شكلا من أشكال الوعي التاريخي، الذي يعتمد تفاصيل الحياة الواقعية والملاحظات الصغيرة، في واقع يتغير بسرعة مستمرة.

ف"حمو" على بساطته وعفويته تمكن من رسم صورة نموذجية، مثلت رفض الحياة القائمة. كما قدمت تصورا عميقا نوعا ما، لعلاقة المثقفين والمتعلمين بالثورة التحريرية، وكيف يتصورونها من خلال شخصية "زيدان" التي مثلت أنموذجا له. حيث صار يفرق بين متعلم، تهمه الثورة التحريرية كقضية وطنية، ومثقف عفوي تشكل الثورة بالنسبة له، جزء من كيانه وواقعه التاريخي، « لا كمجرد أحداث ووقائع تؤدي إلى الاستقلال في النهاية، ولكن كتاريخ صراع ضد الاستعمار، وصراع طبقي يؤدي إلى قهر الاستعمار ورموزه البورجوازية الجزائرية التي خلقها لخدمة مصالحه»(27). وشخصية "زيدان" تشكل خاصية أساسية، لاكتشاف طبيعة الواقع المحيط بشخصيات الرواية، كلما تعمق الحدث الروائي أكثر. وجدية النص، وسعيه من أجل خلق شكل تعبيري، في مستوى الموضوعات الجمالية المطروحة، مكناه من خلق فضاء تعبيري أكثر جمالية، لاستيعاب مختلف التناقضات القائمة، على المستوى الواقع التاريخي.

وهذا من طبيعة الأشكال أو التجارب الروائية، التي ينبغي عليها أن تعرف المزيد من التطور، والاستجابة للتحولات، كي تحافظ على حياتها. لأن الرواية تتطور بحركة جدلية مستمرة، توازي الحركة الاجتماعية المتغيرة والدائمة.

فشخصية محورية بحجم "زيدان" كأنموذج روائي ناجح، تمكنت من التموقع ضمن الخطاب الروائي، في مواقع ذات أهمية تاريخية، فهي بذلك تنجز « تعبيرا كاملا عن شخصها المتعدد الجوانب وكاملا، ولكن ليس إلا بقدر ما هي مرتبطة بأحداث التاريخ الكبيرة»(28).

فشخصيات مثل: "اللاز"، "حمو"، "قدور"، هي شخصيات تخييلية شكلت جزءا هاما لشخصية "زيدان" في وعيها الثوري والمثالي. وحتى "بعطوش" كشخصية مرتزقة بداية، سرعان ما يستيقظ فيه وعيه الطبقي، بعدما قام به من أفعال، يمجها الذوق الإنساني، لتبقى أفعاله تلك هاجسا نفسيا لديه، يؤرقه باستمرار، تبعا لضميره الذي استيقظ على وضعه الطبقي البائس، ليبقى يردد عبر كافة مساحة الخطاب السردي (خالتي يا ربي سيدي). وفور استفاقته يدرك بموضوعية واقعية، تفاهته أمام شخصيات محورية مميزة، بحجم شخصية "زيدان". فيقدم على قتل الضابط الفرنسي، ويهرب كافة المساجين، ويحرق الثكنة، كما يحرق تفاهة ماضيه القريب. ويهرب إلى الغابة، وهروبه ذاك، هو عودة إلى أصله الطبيعي، وتبوئه لدوره التاريخي الإيجابي، الذي ينبغي عليه القيام به.

يلاحظ القارئ على مستوى الخطاب السردي، أن أكثرية شخصيات الرواية، تأمل في أن تكون شخصيات نموذجية كشخصية "زيدان"، الإنسان الثوري الملتزم، والمؤمن بعدالة القضية الوطنية. فهذه الشخصيات في نضالاتها اليومية تتكون، وتعرف المزيد عن طبيعة واقعها التاريخي، وتأمل أيضا في الوصول، إلى ما وصلت إليه شخصية "زيدان" في وعيها النموذجي؛ الشخصية التي فضلت تقديم حياتها فداء لمبادئها وقيمها التقدمية، والتزامات الحزب، حين شاهدت رفاقها يتساقطون واحدا تلو الآخر.

«- ليس لي اتخاذ أي موقف شخصي في مسائل تعود إلى الحزب، يجب أن تعلم هذا عن الشيوعي يا الشيخ.

لكن الكلمات هربت من بين شفتيه، وظل يحدق في الفراغ، قبل أن يغمض عينيه ويغيب عن كل ما حوله، ويسقط على وجهه.

-ألحقوه بالكفار»(29).

تفسر مثل هذه اللحظات الحاسمة، من حياة الإنسان طبيعة الاستماتة من أجل الانتصار، لقناعات إيديولوجية معينة، هي من صميم الواقع الثوري الذي كانت تعيشه الثورة التحريرية وقتها. ومثل هذه التضحيات، تعكس الإدراك الموضوعي السليم، بطبيعة التحولات التاريخية التي كانت تشكل المراحل الحاسمة في تطور الحركة الوطنية في "الجزائر". وإن اقتضى الأمر خلافا إيديولوجيا أو حتى عقيديا، فهذا لا يفسر ما يمكن أن تواجهه الثورة، من تهديد لوحدتها، ما دامت كافة أطياف الحركة الوطنية، مجتمعة على هدف واحد، هو القضاء نهائيا على الاستعمار الفرنسي في البلاد.

لذلك فزمن الصراع الذي كانت تعيشه شخصيات الرواية، مثل شخصية "زيدان" مثلا، يمثل لحظة الفعل المنتج للإنسان عندما يتحول من وضع إلى وضع آخر، يتخلى فيه عن الماضي، ويطمح إلى مستقبل جديد يؤسسه الماضي، برؤية أكثر تطورا وحركية.

يفهم جيدا من خلال قراءة الرواية، أنها استفادت كثيرا من المنجز الروائي العالمي الحديث، لاسيما على مستوى الأدوات الفنية الحديثة. فقد أفادت كثيرا رواية "اللاز"، من تقنيات التحكم في الزمن السردي بشكل عام. فالقارئ وهو يتابع أحداث النص، لا يلمس فيه ذلك الزمن التقليدي الممتد باستقامة رتيبة؛ إنما تميز الزمن بميزة التداخل والتشابك، حيث يمكن للقارئ متابعة مختلف أحداث الرواية، دون ملاحظة أي اختلال في البنية الزمنية للنص.

ف"الاستذكار" الذي بنيت عليه الرواية بكاملها، أسهم في كشف أكثرية المواقف المثيرة على مستواها. كما أثرى الخلفية التاريخية للنص، بشكل مكن من فهم طبيعة التوجهات الإيديولوجية المتعلقة به. ونجاح "الاستذكار" يكمن ، في استثمار النص له وفق طبيعة الوقائع التي حدثت في الماضي. فقد كان أداة طيعة للرواية، منحت خصوصية تعبيرية للنص أكثر فنية. واستيعاب "الاستذكار" للماضي، « تتم بمنطق القبض عليه، لتوجيهه في خدمة الحاضر»(30).

وقد تم توظيف "الاستذكار" في رواية "اللاز" كتقنية تعبيرية، إيصالية، قابلة للتشكل والتطور، ليس من أجل كشف طبيعة الحياة النفسية الممزقة والمتشائمة، كما هو الحال في العالم الرأسمالي الغربي، أو على مستوى الرواية الغربية، ولكن من أجل إثراء الحاضر، عبر المحطات المشرقة، من خلال ما يسهم به الماضي، ورسم الآمال والطموحات، وتجسيد الأحداث الدرامية التي عاشها الشعب الجزائري، خلال الثورة التحريرية، التي أنتجت زخما ثوريا عالميا مميزا. وساعد ذلك على خلق رؤية فنية داخلية، متماسكة داخل رواية "اللاز"، تبدو للقارئ على درجة كبيرة من النضج والاحترافية.

هذه النزعة التفاؤلية، التي صاحبت المضامين الموضوعاتية للرواية، إلى جانب الأبعاد الجمالية التي ميزتها، انعكست بشكل واضح على نمط الصورة الفنية، التي شكلت جزءا كبيرا من البناء الفني الخاص بها.

تميزت رواية "اللاز" باهتمام كبير بعناصر التراث الشعبي، المحلي منه على وجه الخصوص. الشئ الذي مكنها من أن تتبوأ مكانتها كرواية تراثية، تستجيب للمعطى التاريخي الذي منحها شروط وجودها، كملحمة شعبية واسعة الانتشار، من خلال شخصيات فنية أكثر بساطة وأعمق شعبية. تتصرف وفق ما تمليه عليها حياتها الواقعية وقناعاتها الملتزمة. فقد تمكن النص، من خلال توظيف التراث الشعبي، من ملامسة أكثر اللحظات الإنسانية حساسية، وإرفاقها بالأمثال الشعبية، والحكايات الشعبية التراثية المحلية، وغيرها من الإمكانات الفنية الأخرى المتاحة.

«- والله يا ابن عمي، ما يبقى في الوادي غير حجاره.

ويتساءل قدور، في سذاجة عن حجارة الوادي التي يعنيها حمو، فيجيبه:

-الصح، الصح، ما يبقى في البلاد غير الصح»(31).

يمثل الحوار الذي دار بين "حمو" و "قدور" الابعاد التاريخية والاجتماعية، التي يتضمنها المثل الشعبي، الذي هو صادر من الروح العميقة للشعب الجزائري، وفق ما يجسده "حمو" ببساطته وعفويته، كسائر أبناء الشعب الجزائري الفقراء والبسطاء. حيث تظهر قيمة وأهمية المثل الشعبي الجزائري بوضوح، في لحظات الإحباط والانتصار التي يعيشها الشعب الجزائري، بحاسته الطبقية وخياراته التاريخية الحاسمة. هذه اللحظات الهامة والمشرقة للمثل الشعبي، والموروث التراثي الجزائري ككل، لا يمكن كشفها وتفعيلها، إلا من لدن النص الروائي الملتزم بالرؤية الإيديولوجية المتفائلة. والواعي بطبيعة شروطه التاريخية، التي تملي عليه المزيد من الوعي والالتزام. من هنا ارتبط المثل الشعبي الجزائري (ما يبقى في الوادي غير حجاره)، بأعماق الشعب الجزائري أولا ، لأن الذات الشعبية الجزائرية الأصيلة، كانت بحاجة ماسة لمثل تلك الوسيلة الشعبية، للتعبير عن رؤيتها الطبقية الملتزمة، وفق ما تمليه التحولات الجدلية المستمرة، للتاريخ والواقع الاجتماعي؛ ثم بالنص ثانيا، الذي منحه رؤية فنية، لتطوير وتحيين خلفية تراثية هامة، مكنت من إبراز مختلف الأدوار الطبقية والتاريخية للرواية، كآلية تعبيرية وتواصلية، تسعى لإحداث التغيير التاريخي المطلوب.

الهوامش:

1- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، -بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية-، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، الطبعة الأولى 1986، ص:487

2-سامي خرطبيل: الرواية عند لوكاتش –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، العدد الأول نوفمبر(تشرين الثاني) 1980، ص:141

3- غالي شكري: الرواية العربية في رحلة العذاب، دار عالم الكتب للنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1971، ص:14

4- ينظر في ذلك واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:489

5- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي(الكتاب الثاني للاز)، المؤسسة الوطنية للكتاب، -الجزائر، الطبعة الأولى 1985، ص: 141/140

6- رواية للكاتب الجزائري الطاهر وطار، من منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر، 1986

7- رواية للكاتب الجزائري الطاهر وطار، من منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر، 1986.

8- أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1978، ص:240

9- جودت الركابي: قصة اللاز للطاهر وطار –دراسة تحليلية-، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام –الجزائر، العدد 33، جويلية 1976، ص:83

10- سيرغي بتروف: الواقعية الاشتراكية، منهجا واتجاها، -عدد خاص بالواقعية، مجلة الموقف الأدبي ،دمشق –سوريا، العدد 85 ماي (آيار)، 1978، ص:105

11- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الثالثة، 1981، ص:13

12- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:498

13- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:84

14- المصدر نفسه، ص:162

15- المصدر نفسه، ص:105

16-د/ رشيد كوراد: الطاهر وطار من "اللاز" إلى "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" –إشكاليات إعادة إنتاج التاريخ-، مجلة مخبر الدراسات الأدبية، العدد الثاني جانفي 2015-جامعة الجزائر 02، ص:27

17- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:105

18- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:504

19- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:50

20- بوريس سوتشكوف: المصائر التاريخية للواقعية، ترجمة: محمد عيتاني وأكرم الرافعي، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1974، ص:231

21- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:504

22- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:162

23- المصدر نفسه، ص:97

24- عبد الرزاق عيد: دراسات نقدية في الرواية والقصة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 1980، ص:129

25- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:164

26- المصدر نفسه، ص:109

27- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:510

28- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: د/ صالح جواد الكاظم، وزارة الثقافة والفنون، بغداد –العراق، الطبعة الأولى 1978، ص:51

29- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:272

30- غالي شكري: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية العربية الجديدة –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، العدد 04، فبراير 1980، ص:130

31- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:42/41

المصادر والمراجع:

1- أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1978.

2- بوريس سوتشكوف: المصائر التاريخية للواقعية، ترجمة: محمد عيتاني وأكرم الرافعي، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1974

3- جودت الركابي: قصة اللاز للطاهر وطار –دراسة تحليلية-، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام –الجزائر، العدد 33، جويلية 1976.

4- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: د/ صالح جواد الكاظم، وزارة الثقافة والفنون، بغداد –العراق، الطبعة الأولى 1978.

5- رشيد كوراد: الطاهر وطار من "اللاز" إلى "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" –إشكاليات إعادة إنتاج التاريخ-، مجلة مخبر الدراسات الأدبية، العدد الثاني جانفي 2015-جامعة الجزائر 02.

6- سامي خرطبيل: الرواية عند لوكاتش –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، العدد الأول نوفمبر(تشرين الثاني) 1980.

7- سيرغي بتروف: الواقعية الاشتراكية، منهجا واتجاها، -عدد خاص بالواقعية، مجلة الموقف الأدبي ،دمشق –سوريا، العدد 85 ماي (آيار)، 1978.

9- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي(الكتاب الثاني للاز)، المؤسسة الوطنية للكتاب، -الجزائر، الطبعة الأولى 1985.

10- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الثالثة، 1981.

11- عبد الرزاق عيد: دراسات نقدية في الرواية والقصة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 1980.
12- غالي شكري: الرواية العربية في رحلة العذاب، دار عالم الكتب للنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1971.
13- غالي شكري: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية العربية الجديدة –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، العدد 04، فبراير 1980.
14- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، -بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية-، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، الطبعة الأولى 1986.

المحكي التاريخي في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" لإبراهيم الكوني

"The historical narrative in the novel "Southwest of Troy, Southeast of Carthage By Ibrahim Al-Koni

سنوسي شريّط
جامعة معسكر (الجزائر) cherietsenouci@hotmail.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023 / 11 / 09	2024 / 03 / 27	2024 / 06 / 01

مُلَخَّصُ البَحث

يروم هذا المقال العلمي الانفتاح على تيمة التاريخ في نصوص الروائي الليبي إبراهيم الكوني، لتبيان وإبراز كيفية الاشتغال على هذه التيمة بوصفها موضوعة أسياسية بالنسبة للسرد الروائي المعاصر. وقد اخترنا لهذه المقاربة الثنائية التاريخ/والتخييل، رواية (جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة) ألّفها إبراهيم الكوني سنة2017.

تعدّ هذه الرواية أنموذجاً أدبياً لاستلهام الحادثة التاريخية في القالب السردي الروائي. خصوصاً وأن الروائي إبراهيم الكوني اعتمد في هذا النص على حادثة تاريخية هامة ومعروفة في التاريخ الليبي، تتمثل في المعركة التي وقعت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي بقيادة الباشا "يوسف القرمانلي"، استطاع هذا الأخير التغلب على الأسطول الأمريكي وأسر البارجة الحربية "فيلادلفيا" التي كانت تتبجح بها أمريكا.

من هذا المنظور، تحاول هذه المقالة التطرق إلى كيفية التعامل مع التاريخ من حيث التوظيف والاستلهام لأحداثه ومكوّناته ومضامينه، خاصة الحادثة التاريخية باعتبارها خطاباً حقيقياً واقعياً في القالب السردي الروائي بوصفه خطاباً تخييلياً. أي الاشتغال على عاملين أساسيين في هذه المعادلة، بين ما هو واقعي وما هو تخييلي. مع إبراز أسلوب الحكي أو السرد المعتمد من قبل المؤلّف في نصه الروائي.

الكلمات المفاتيح: الرواية-التاريخ-التخييل-الواقع-السرد.

Abstract

This scientific article aims to open up the theme of history in the texts of the Libyan novelist Ibrahim Al-Koni, and how to work on it as a fundamental theme for contemporary novelistic narratives. For this dual approach, history/imagination, we chose the novel (Southwest of Troy, Southeast of Carthage) written by Ibrahim Al-Koni in 2017.

This novel is a clear example of drawing inspiration from the historical incident in the novel. Especially since the novelist Ibrahim Al-Koni, in this text, relied on a pivotal historical incident in Libyan history, where a battle took place between the American fleet and the Libyan army led by the Pasha, "Youssef Al-Qaramanli." The latter was able to overcome the American fleet and capture the battleship "Philadelphia".

From this perspective, this article attempts to address how to deal with history (a historical event) as a real, realistic discourse in the novel form as an imaginary discourse. That is, working on two basic factors in this equation, between what is realistic and what is imaginary. Highlighting the narration style adopted by the author in his fictional text.

keywords:. novel - history - imagination - reality - narrative.

1.مقدمة:

ليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرنا الروائي الليبي "إبراهيم الكوني" أبرز شخصية الروائية في العالم العربي في الوقت الحالي، لاعتبارين اثنين:

أولهما: يرتبط بالتراكم السردي الروائي الكبير الذي أنجزه على مدار سبعين سنة(هو من مواليد1948)، حيث ألّف لحد الآن أكثر من 60رواية،منها: رباعية الخسوف(تسمل: البئر، الواحة، أخبار الطوفان الثاني، نداء الوقواق)، نزيف الحجر، التبر، المجوس، السحرة،.... بالإضافة إلى العديد من القصص والكتب النقدية واللغوية. هذا ما دفع بأحد النقاد إلى وصفه بالنهر السائل الجارف، لعدم قدرتهم على مجاراته أو إيقافه ، يقول (جاد الحاج) :"أوقفوا إبراهيم الكوني لنتابعه، ما هذا النهر؟ بعيداً مباغتاً منذ البداية (....)راويا حكاية البدء قبل أن تبدأ الحكاية"[1] .

ثانيهما: يتعلّق بنوعية الكتابة السردية التي اختارها هذا الروائي في مشروعه الإبداعي، حيث اتخذ من الصحراء فضاء لمروياته، ومن الأساطير متوناً لمواضيعه التي عالجها روائياً. لذلك غدا كاتباً متميزاً عن الروائيين العرب. من خلال تشييده لأسلوب سردي جديد يغوص في الصحراء الليبية لسرد أساطيرها وسبر أغوارها. مركّزاً بالأساس على الإنسان التارقي (نسبة إلى التوارق) في علاقاته المتعددة مع أخيه الإنسان أولاً، ومع الطبيعة ثانياً، ومع الحيوان ثالثاً. يقول الباحث بوشوشة بن جمعة عن هذه الخصوصية التي تميّز بها هذا الروائي: "وإبراهيم الكوني في جميع رواياته التي يتواتر صدورها منذ أواخر الثمانينات من القرن العشرين إلى اليوم تنفتح على أفق باحث عبر التميّز عن المغامرة، وعن الخصوصية عبر تجاوز السائد من طرائق التعبير المستحدثة في الغرب، والتي انفتح عليها هذا الجيل من كتّاب الرواية منذ الستينات"[2]. ففي مجمل أعماله تبرز هذه التيمات لتشكّل انشغالاً محورياً لدى الكاتب، الذي يحاول دوما من خلال هذه النصوص السردية الروائية أن يعالج هذه القضايا، بالانفتاح على الأساطير التي تمثّل ميثولوجيا المجتمع الليبي، والصحراء

لكونها "فضاء للروح والطهر والسكينة"[3] من جهة، ومن جهة ثانية بوصفها موطناً للأساطير التي أبدع الإنسان في تشكيلها عبر الزمن.

هذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا المقال العلمي، الذي أردنا من خلاله الانفتاح على تجربة سردية فريدة ومتميزة ومختلفة هي تجربة الروائي الليبي إبراهيم الكوني.

2.تداخل التاريخي مع التخييلي في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة":

تقوم رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" على محكيات تتراسل بشكل متواتر من خلال الفصول التي اعتمدها الكاتب(تحتوي الرواية على92 فصلاً)، حيث يتكئ فيها على المحكي التاريخي من خلال جنوح السارد (الغير المشارك في الأحداث) إلى سرد أحداث معركة17 فبراير1804 (خلال القرن التاسع عشر) التي حدثت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي بقيادة "الباشا يوسف القرمانلي". وهي سابقة تاريخية شكّلت حدثاً بارزاً في العالم، خصوصاً بعد الانتصار الذي حققه "الباشا يوسف" على أمريكا، واستطاع أن يهزم أسطولها البحري ويأسر البارجة البحرية "فيلادلفيا" العملاقة التي كانت تتبجح بها أمريكا، وتفتخر بهذا الصنيع الذي لم يحققه أحداً في العالم:

يقول السارد: "كان ذلك الجبل العائم قد عبر مضيق جبل طارق منذ أيام. ليكون آخر أعجوبة من أعاجيب البحار التي أفلح في إبداعها عقل المخلوق البشري: تلك هي البارجة الحربية "فيلادلفيا" التي تحرث مياه بحر ليبيا عميقا(برغم أنها تبدو عن بعد ساكنة بسبب هول حجمها)، في طريقها للانضمام إلى أسطول البحرية الأمريكية المرابط قبالة سواحل طرابلس"[4] .

أراد إبراهيم الكوني في هذه الرواية أن يسرد الأحداث التي شهدتها معركة 17 فبراير1804، لكنه لم يلتزم بكل الأحداث الحقيقية، وإنّما حاول تسريد هذه الأحداث التاريخية من خلال النزوع نحو التخييل التاريخي الذي يتيح له عدم التقيد بالحقائق التاريخية. لذلك نجد عبر صفحات الرواية التي وصلت إلى630 صفحة، التاريخ يُروَى بشكل سردي ممتع، يؤثّثه تخييل الكاتب الذي حاول تقديم بعض ما تعلّق بتاريخ ليبيا عبر التخييل الروائي، بغية قراءة حاضر ليبيا، خاصة وأن الرواية لا تتحدث فقط عن المعركة بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي، وإنما تعرّج أيضاً على تيمة الصراع على السلطة داخل عائلة "القرمانلي".

قام إبراهيم الكوني في روايته على تسريد التاريخ بالاعتماد على تقنية الحكي عبر عنصر التقطيع، حيث قسّم روايته إلى أقسام، وكلّ قسم إلى أجزاء، وهذه الأجزاء عبارة عن محكيات قصيرة تتضمّن حكاية من حكايات حادثة انتصار الجيش الليبي بقيادة "الباشا يوسف القرمانلي" على الأسطول الأمريكي. وتحتوي هذه الأجزاء/الحكايات تاريخ ومكان وقوعها، وهذا ما يجعل رواية إبراهيم الكوني عملاً تاريخياً بامتياز باعتباره يقوم بسرد هذا التاريخ بالاعتماد على التخييل كخاصية سردية لإخراج النص الروائي من محراب التاريخ نحو رحابة التخييل.

3.العتبات النصية:

تشكّل العتبات النصية مداخل مهمة في فهم النص الروائي، إنها تتيح للقارئ الولوج إلى عالم النص انطلاقا من العتبات التي يقدمها الروائي باعتبارها مفاتيح السرد ، منها: عتبة العنوان، عتبة التقديم، عتبة الإهداء، عتبة النصوص الموازية.....وغيرها من العناصر الضرورية التي تقرّب المعنى والدلالة للقارئ.

تحتوي رواية إبراهيم الكوني "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" على عتبات متميزة تحيل في الكثير من الأحيان إلى نزوعها نحو التاريخ، مما يدلّ على أن الروائي أراد أن يستثمر تاريخ ليبيا في نصه الروائي من أجل إعادة قراءة هذا التاريخ من منظور الحاضر. خصوصاً وأن الرواية تنفتح على تيمات عديدة، منها: المواجهة مع الغرب، الصراع على السلطة، واقع الصحراء، الطمع، حب التسلط من قبل "الباشا يوسف"... وهي كلّها وقائع نجد لها تمثيلاً واضحاً وإسقاطاً جلياً على الواقع الليبي في الوقت الراهن، خاصة فترة حكم الرئيس (معمر القذافي)، وكأن المؤلّف أراد أن يرمز إلى هذا الأخير بشخصية "الباشا يوسف القرمانلي"، نظراً للتشابه الكبير بينهما في الحكم. وهذا ما ذهب إلى تأكيده الناقد "سيف محمد المري" في مقدمته التي كتبها لهذه الرواية في طبعتها الأولى، إذ يقول:"....ومن هنا جاءت رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" متوازية في شخوصها وأحداثها وإسقاطاتها مع ما حدث ويحدث للعرب، وجاء اسم طروادة ذات البعد الأسطوري الإغريقي مرادفاً لغرناطة آخر مملكة عربية مزدهرة في الأندلس وآخر معقل عربي أفلت عنه شمس حاضرتنا، لتمثلا توأمة فنية تختلط معهما وفيهما حقائق التاريخ مع وقائع الجغرافيا مع الخيال المجنح للكاتب ليتقاطع ذلك كله مع ما يحدث الآن في ليبيا التي منيت بحكم فردي امتد لما يقارب خمسة عقود تحت سيطرة طاغية يرى نفسه المخلص ويظن نفسه كما كان يدعي "بني الصحراء""[5]. أي أن الرواية تحمل رموزاً دلالية واضحة من خلال المتن السردي الذي تحمله، فهي من جهة تبرز قوة الجيش الليبي في مواجهة الغزاة، خاصة الأسطول الأمريكي، ومن جهة أخرى تعكس مدى تجبر القائد "الباشا يوسف القرمانلي" الذي وصل إلى الحكم عن طريق الدم بعد قتل شقيقه "حسن بك القرمانلي".

1.3.عتبة العنوان:

يمثّل العنوان أول عتبة يلجها القارئ إلى عالم النص. بغية فهم واستيعاب مضمون النص الروائي. والعنوان كما يصفه الناقد المغربي "جميل حمداوي" هو "عتبة النص وبدايته، وإشارته الأولى . وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص، وتسميه، وتميزه عن غيره....[6]. بينما يعتبره الناقد التونسي "بن جمعة بوشوشة" "فاتحة خطاب الرواية وأولى عتبات النص، حيث يمثّل ملفوظ ما قبل الحكي، وما بعد الحكي الأخير، وهو وثيق الصلة بهما، وإن بدا في الظاهر مستقلاً عنهما، باعتبار ما يتضمنه من مؤشرات جمالية ودلالية، تستمد بلاغتها من الإحالة إليهما إيحاء، لا إعلاناً، وتلميحاً لا تصريحاً"[7].

بالنسبة لعنوان رواية إبراهيم الكوني فقد جاء طويلاً ومركباً من حيث الصياغة، حيث اشتمل على مقطعين يتضمنان كلمات مرتبطة بالتاريخ:

"جنوب غرب طروادة / جنوب شرق قرطاجة".

في المقطع الأول يدلّ على الفضاء الذي تحتلّه مدينة **"طروادة"** ذات البعد الأسطوري الإغريقي، وهي مدينة يونانية تعرّضت لحصار من قبل اليونانيين لمدة10 سنوات، أما المقطع الثاني فيدلّ على الفضاء الذي تحتلّه مدينة **"قرطاجة"**، وهي مدينة قديمة متواجدة في الساحل الشمالي من إفريقيا في ضواحي الجمهورية التونسية. أسّسها الفينيقيون خلال القرن التاسع قبل الميلاد، وأطلقوا عليها اسم البورصة وتعني القلعة. وقد ذكر المؤّلف العنوان في روايته في الصفحة381، حيث قام بشرح العنوان في سياق أحداث الرواية:

"حدّث القبطان "بريبل" مرؤوسه النقيب "ديكاتور" فقال:

-لن يهنأ لي بال حتى أسوي مدن هذا الساحل بالتراب كما فعل أسلافنا ب"طروادة" أو.. أو أحرثها حرثاً وأنثر في أرضها ملحاً حتى تعود تنبت زرعاً كما فعلت سلالة "طروادة" بعدوتها "قرطاجة" !

تأمل "ديكاتور" وهو يسرح في المدى الأزرق المسكون بهدوء مريب:

-يذهب الهيلينيون لتخريب "طروادة" ثأراً لشرف امرأة مختطفة، فيذهب أخلاف أمة "طروادة" لمحو سلالة "قرطاجة" بعدها بألوف السنين كأنهم يردّون ثأراً مبيتاً !

حاجج القبطان:

-يجب ألاّ تنسى أن سبب نكبة "طروادة" هم أسلاف أهل "قرطاجة" !

تعجب النقيب:

-حقاً !

-ألم تكن ذرية "فينيقيا" الشقية التي أقامت كيان "قرطاجة" يوماً هي سليلة تلك الذرية التي اختلست "هيلين" لتلقي بها في أحضان البليد "بوريس"؟

سرح القبطان لحظات. أضاف:

-أمل ألاّ يكون الموقع عملاً من قبيل المصادفات !

عقّب النقيب:

-جنوب غرب "طروادة"، جنوب شرق "قرطاجة".

ولكن القبطان استنطق الحلم:

-لكل زمان طروادته !

تغنّى النقيب:

-كما لكل زمان قرطاجته !"[8] .

من خلال تركيبة العنوان، نستخلص أن الكاتب يتفنن في عملية التشكيل والبناء الفني لنصوصه السردية، سواء على مستوى الأسلوبي أو على مستوى الجمالي. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الروائي إبراهيم الكوني يمازج بين التاريخي مع التخييلي ليشكّل نصاً روائياً يقف عند تخوم الواقع ليسرد ذاكرة الوطن(ليبيا) عبر تعاريج محطاتها الزمنية. حيث تمّ استحضار مدينة **"طروادة"** جنوباً ومدينة **"قرطاجة"** شرقاً، ليقارب بينهما وبين مدينة **"طرابلس"** التي حوصرت من قبل الأسطول الأمريكي، إلى جانب الجيش

الفرنسي والجيش الإنجليزي والجيش الاسباني. فهذا الاستحضار التاريخي لهاتين المدينتين له دلالة واضحة لما يحدث ل"**طرابلس**" مع الغزاة كما سمّاهم "الباشا يوسف القرمانلي". لذلك جاء العنوان يحمل هذه المقاربة في بعدها التاريخي والواقعي لكونها حادثة حقيقية وقعت خلال القرن التاسع عشر. وقد حاول الكاتب إعادة تمثّل هذه الحادثة، والتأريخ لها عبر الرواية، هادفاً بذلك إلى النزوع نحو إعادة قراءة الحاضر وما ينطوي عليه من أحداث ومواقف شبيهة بما وقع قديماً.

2.3.عتبة الصفحات الأولى: تحتوي الصفحات الأولى على صور لمباني قديمة على شكل قلاع محصنة. تليها رسومات لخرائط ليبيا، تشمل فترات القتال الذي تتحدث عنه الرواية، والمتمثل في المعارك التي قامت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي، بالإضافة إلى الجيوش الفرنسية والإنجليزية والإسبانية. استعمل إبراهيم الكوني هذه الخرائط كافتتاحية للمَشَاهِد السردية التي ستُروى عبر الرواية. كما تضمّنت صفحات البداية إهداء إلى شهداء المعركة:

"إلى أبطال لم يروا يوماً في الوطن غنيمة، فجادوا بأنهار الدم ليبعثوا فيه القيمة..

إلى شهداء ملحمة السابع عشر من فبراير، نزيف يشهد كيف يعيد التاريخ نفسه" .

وفي الصفحة الموالية للإهداء يستعمل الكوني نصوصاً موازيةً لمفكرين وعلماء وفلاسفة، لتقريب المعنى الدلالي والرمزي لروايته. حيث يذكر قولاً للفيلسوف **"جان جاك روسو"**:

"إلى أي مآل سيؤول التاريخ لو خلا من الطغاة والحروب ومكائد أهل الكيد"[9] . وكأن الفيلسوف يربط التاريخ بجانبه السلبي، حيث يروي التاريخ سيّر هؤلاء الطغاة.

أما النص الثاني فهو ل **"أحمد النائب"** من كتابه (المنهل العذب):

"..وخمدت نار الحرب، وبلغت كل نفس مناها، وقتل محمد بك القرمانلي نفسه، وفرّ أخوه أحمد بك إلى مالطا، وأُرسل علي باشا القرمانلي إلى الأستانة العلية(أسيراً). وانقرض بيت آل قرمانلي"[10].

انطلاقاً من هذه العتبات، نستخلص أن الروائي إبراهيم الكوني يستحضر منذ البداية التاريخ في روايته، وهو بذلك يجهّز القارئ إلى أن الأجواء التي ستتحدث عنها الرواية تتقاطع مع التاريخ، رغم أنها ليست رواية تاريخية. ولكنها تعتمد على تخييل التاريخ، من خلال الجنوح نحو سرد الأحداث التاريخية بطريقة تنزع نحو التخييل الروائي، مع تطعيم الرواية بالكثير من الأحداث والمواقف، وأحياناً بشخصيات متخيّلة لإضفاء البعد الفني والجمالي على النص الروائي. في هذا السياق نورد مثالاً خاصاً بالروائي الليبي شارك في ندوة علمية حول (الرواية والتاريخ) بمصر ، حيث اعترف خلال تقديمه لمداخلته الموسومة ب: (الفرار الى التاريخ) بما يلي: "لا أعتقد يوما أنني كتبت روايات تاريخية"[11] .

3.3عتبة الفصول: قسّم الروائي روايته إلى ثلاثة أقسام، وكلّ قسم احتوى على أجزاء تحمل عناوين قصيرة مقيّدة في جمل واضحة مع ذكر تواريخ الأحداث التي وقعت. وبالتالي فإن الرواية تقوم بحكي التاريخ وتسريده من قِبَلِ السارد غير المشارك في الأحداث. وهذه العتبات تعطي الانطباع بأن الأحداث التاريخية التي ارتبطت بشخصيات الرواية، ممتدة في التاريخ، لكونها حدثت فعلاً. لذلك راح المؤلّف يستحضرها رغم بُعدها الزمني،

إلاّ أنه أراد من خلالها التطرق إلى هذه الأحداث بالتفصيل عبر التخييل الروائي. ومن أمثلة على هذا التقسيم، نذكر:

القسم الأول: يتضمّن59 جزءاً(من رقم1 إلى رقم59).

1-الدَيّن:

بحر ليبيا أكتوبر1803 م. (ص15).

2-الأسر:

ضاحية المنشية أكتوبر1803. (ص21).

3- الحيّة:

شطآن بحر ليبيا أكتوبر1803 م. (ص31).

4-العرض: (بدون تاريخ ومكان الأحداث). (ص41).

5-البحر:

بحر ليبيا. متن البارجة "فيلادلفيا". فجر يوم27 أكتوبر1803 م (ص51).

.....

.....

59-الخيبة: (بدون تاريخ ومكان الأحداث).

القسم الثاني: يتضمّن16 جزءاً(من رقم60 إلى رقم75).

60-الأدوار:

غرب الإسكندرية فبراير1805 م. (ص409).

61-الماء: (بدون تاريخ ومكان الأحداث). (ص412).

62-المال:

17 مارس. الصحراء الليبية 1805 م. (ص417).

63-المستنقع:

السراي الحمراء(البلاط) مارس1805 م. (ص421).

.....

.....

75-الرحيل:

درنة. حصن الساحل12 يونيو1805 م). (ص487).

القسم الثالث: يتضمّن17 جزءاً(من رقم76 إلى رقم92).

76-السّلالة:

البلاط. جناح الحريم. يناير1811 م. (ص496).

77-الانتقام: (بدون تاريخ ومكان الأحداث). (502ص).

78-التعويذة:

السراي الحمراء-البلاط. أبريل1814 م. (ص508).

79-آل عثمان:

طرابلس. أغسطس1816 م. (ص513).

.....

.....

92-الختام:

طرابلس. أحد أيام صيف1838 م. (ص616).

يعتبر هذا التشكيل السردي الذي اعتمده الكاتب إبراهيم الكوني أسلوباً سردياً روائياً جديداً يتم من خلاله تقديم السرد على فترات، أو من خلال مقاطع سردية جزئية، لذلك نرى هذه المقاطع وكأنها مَشَاهِد سينمائية يتم تقديمها على مراحل، وليس دفعة واحدة من خلال السارد. مما يوحي أن الروائي إبراهيم الكوني لا يفضّل تقنية خطية السرد في هذه الرواية، وإنما يحبذ تقطيع السرد إلى أجزاء على حسب الحكايات وشخصياتها ومختلف المكوّنات التي تنضوي تحته من أمكنة وأزمنة. وهذا طبعاً يرجع في الأساس إلى طبيعة الرواية في حدّ ذاتها، فالمضمون التاريخي هو الذي يفرض على الكاتب توظيف الأسلوب السردي المناسب لسرد حكاية الرواية، وهذا ما اتبعه المؤلّف في هذه الرواية.

شخصيات الرواية:

يذكر الناقد إبراهيم خليل في كتابه (بنية النص الروائي) في الفصل الخامس المعنون ب: (الشخصية-التقديم-التصنيف)أهمية الشخصية داخل النص، إذ يقول: "ما إن تذكر الرواية حتى تذكر الشخوص. إذ لا رواية بلا شخوص، فهم ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرّك الواقع من حولنا، وعن ديناميكية الحياة، وواقعيتها ، وتفاعلينها، فالشخصية هي –أولاً وأخيراً- من المقوّمات الرئيسة للرواية، والخطاب السردي بصفة عامة"[12] .

بناء على هذه الرؤية النقدية للباحث الأردني، يمكننا القول بأن الروائي إبراهيم الكوني يعطي أهمية قصوى للشخصية الروائية بوصفها عنصراً رئيساً وجوهرياً. فقد تضمنّت روايته شخصيات عديدة، أغلبها حقيقية/واقعية، أي ذات مرجع تاريخي تتكئ عليه، وهذا ما يجعل الرواية شيّقة وممتعة، لكونها تتحدث عن شخصيات حقيقية تستند إلى تاريخ محدد زمنياً يعود إلى القرن التاسع عشر ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجودها داخل القالب السردي(الرواية) يجعلها أكثر تشويقاً، نظراً لجنوح الروائي نحو السرد التخييلي لإمتاع القارئ بمَشَاهِد سردية ممتعة تجمع بين التاريخ والتخييل.

الشخصيات العربية الليبية:

1.الباشا يوسف القرمانلي: شخصية متسلطة حكمت ليبيا خلال الفترة الزمنية الممتدة من1711 إلى1835، انقلب على أخيه حسن بك القرمانلي، قتله ليحلّ محله. إنه شخصية ماكرة في إدارة الحكم. استطاع بفضل حكمته ومكره من أسر البارجة البحرية "فلادلفيا" الأمريكية.

2.**أحمد القرمانلي:** شقيق يوسف، هرب إلى مصر بعد استيلاء شقيقه يوسف على الحكم. تحالف بعد ذلك مع الأمريكيين لاسترجاع العرش من شقيقه يوسف.

3.**محمد القرمانلي:** شقيق يوسف وأحمد.

4.**الرايس مراد:** وزير البحرية الليبية، اسمه الحقيقي "بيتر لزلي" وهو ايرلندي، أسلم وانظم إلى الجيش الليبي.

5.**محمد بك:** ابن الباشا يوسف. وهو ولي العهد. لم يكن على علاقة حسنة مع والده الباشا بسبب ضعفه وعدم اهتمامه بالحكم وانشغاله بالكتابة وقول الشعر.

6.**أحمد بك:** ابن الباشا يوسف، استولى على الحكم، وقام بنفي والده يوسف القرمانلي خارج أسوار القلعة بحجة المرض.

6.**للا حواء:** زوجة الباشا يوسف.

7.**للا فطومة:** زوجة محمد بك، وابنة أحمد بك القرمانلي.

8.**للا حسنية:** زوجة أحمد القرمانلي.

9.**محمد الشريف:** والي مدينة "فزّان". تمّ الإطاحة به من قبل محمد بك رسول الباشا يوسف القرمانلي.

10.**مفتي الديار الطرابلسية:** فقيه المملكة.

11.**الشيخ النويري:** والي مدينة "فزّان" الجديد بعد الإطاحة بمحمد الشريف.

12.**محمد بك الألفي:** طريد العرش المملوكي في مصر.

الشخصيات الأجنبية:

1.**توماس جفرسون:** ثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، دامت فترة حكمه 09 سنوات (1801-1809).

2.**جيمس مايدسون:** وزير الخارجية الأمريكية.

3.**جاكوب جونز:** قائد من قادة الجيش الأمريكي. يسمّى الحكيم لأنه كان طبيباً، ثم تخلّى عن هذه المهنة ليلتحق بالجيش الأمريكي.

4.**بينبريدج:** ربّان أمريكي، قائد البارجة البحرية الحربية المسماة "فيلادلفيا".

5.**العميد بريبل:** قائد البحرية الأمريكية.

6.**النقيب ديفيد بورتر:** معاون الربّان بينبريدج.

7.**وليام راي:** ضابط بحري أمريكي.

8.**وليام ايتون:** سفير سابق لدى الجمهورية التونسية.

9.**الهندي الأحمر:** جندي في البحرية الأمريكية وهو من الهنود الحمر. يبدو شخصية متخيّلة في الرواية، نظراً لغرابة طبائعه وعجائبية تصرفاته التي تعتمد على السحر.

إضافة إلى شخصيات أجنبية أخرى (أمريكية) ذُكرت في متن الرواية بناء على الأحداث التي قامت بها، خصوصاً وأن هذه الشخصيات هي عبارة عن ضباط وجنود في الجيش الأمريكي.

وبالتالي، نلاحظ تعدداً وتنوّعاً كبيراً في شخصيات الرواية، مما يشي بأن الرواية موغلة كثيراً في التاريخ، فهي تحكي التاريخ عبر هذه الشخصيات، سواء كان بعضها حقيقياً/واقعياً أو متخيّلاً. فإبراهيم الكوني في روايته

يعمد إلى المحكي التاريخي لإبراز الأحداث التاريخية التي حدثت خلال القرن التاسع عشر. بأسلوب سردي روائي ينزع نحو التخييل ليحاكي التاريخ من خلال الرواية. يقول الناقد عبد الحكيم سليمان المالكي في هذا الشأن: "إن الرواية هي مادة خام لرؤى إيديولوجية ومواقف مسبقة من شخصيات تقطن فضاءً مكانياً واحداً هو الفضاء الليبي، عَكَسَ عبرها الكاتب وبوضوح التركيبة التي أرادها لشخصياته ومن خلال كلّ ممكنات النص بداية بالعنوان، مروراً بالمناصات، وطرائق التشخيص وتكوين الشخصيات عبر الماضي..."[13] .

الفضاء الروائي في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة":

اختلف النقاد حول المصطلحين الفرنسي والانجليزي(**Espace space**)[14]. فئة من النقاد اختارت كلمة الفضاء قاصدة به المكان. وفئة أخرى فضّلت الحيز مثل عبد الملك مرتاض.. وفئة ثالثة اتخذت مصطلح المكان . وهذه الاختلافات نابعة من ترجمة المصطلح من الفضاء الغربي إلى الفضاء العربي، وهنا يكمن الاختلاف، وتتباين الرؤى حول المصطلح المناسب

شكّل الفضاء/المكان في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" عنصراً أساسياً، لكون أن الأحداث التي حاكتها الرواية حملت العديد من الفضاءات على غرار: بحر ليبيا، الواحة، القصر، المنشية، شوارع مدينة طرابلس، مدينة درنة، مدينة فزّان، الصحراء الليبية، مصر، حقول الصعيد، غرب الإسكندرية، واشنطن(مقر وزارة الخارجية، والبيت الأبيض). هذه الفضاءات مثلما نلاحظ هي فضاءات مفتوحة وليست أمكنة مغلقة. لذا فضّلت استعمال مصطلح (الفضاء).

ويعتبر (بحر ليبيا) الفضاء الأكثر حضوراً في الرواية، وهو الفضاء الطاغي على مجمل الفضاءات الأخرى، نظراً لخصوصية الحدث البارز في الرواية، والمتمثل في الحرب الدائرة بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي في الساحل البحري. فالرواية تغوص في عوالم التاريخ لتسرد أحداثه وشخصياته، وتنقل فضاءاته بتفاصيل سردية تمتح من التخييل التاريخي لتقول ما لم يقوله التاريخ. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بغية إعادة تفسير وقراءة الأحداث التاريخية من منظور معاصر.

الزمن الروائي:

يعدّ الزمن الروائي تقنية سردية هامة في البناء الروائي انطلاقاً من كونه مرتبطاً بالفترة التي تتحدث عنها الرواية. ومثلما جاء في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" من خلال الفصول التي اعتمدها الكاتب، فإن الفترة الزمنية التي تعكسها الرواية هو القرن التاسع عشر الميلادي. وقد اختار إبراهيم الكوني أسلوباً سردياً يعتمد على تقسيم فترة الأحداث على الفصول، حيث يذكر-كما بيّنا سابقاً – في هذه الفصول أماكن وتواريخ الأحداث، حيث تبدأ الأحداث من أكتوبر1803 إلى صيف1838. وعبر هذه الفترة تتوالى الأحداث بشكل تراتبي يقدمّها السارد بحيادية.

استطاع إبراهيم الكوني أن يتحكم في الزمن الواقعي الذي أطرّ به روايته، حيث قام بتقسيمه على فصول النص، لكي يتمكن من تقديم الأحداث التي استقاها من الحادثة التاريخية الكبرى والمتمثلة في معركة17 فبراير1804 التي حدثت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي بقيادة "الباشا يوسف القرمانلي".

هذا بالنسبة لزمن الأحداث التي عالجتها الرواية. أما زمن كتابة الرواية فيعود إلى سنة2017. وبالتالي يمكننا القول إن الروائي إبراهيم الكوني رام في روايته استحضار التاريخ القديم من خلال التركيز على معركة 17فبراير1804، قصد إسقاطها على الواقع الليبي المعاصر، خاصة الفترة التي حَكمَ فيها الرئيس (معمر القذافي) ليبيا. أي يصبح تأويل وتفسير هذا النص يتكئ على مقاربة واضحة وهي قراءة الحاضر بعيون الماضي.

4.خاتمة:

بعد هذه الفسحة العلمية عبر رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" للروائي الليبي إبراهيم الكوني، ومن خلال القراءة والتحليل والمساءلة لمكوّناتها السردية، وجدناها رواية متميزة وفريدة في استثمارها للتاريخ، فقد جاءت مغايرة للروايات العربية عموماً التي اتكأت على المادة التاريخية، سواء من حيث توظيف الأحداث والشخصيات والحقب الزمنية والفضاءات، أو من حيث طريقة التشكيل السردي. فجاءت مثل الملحمة في طريقة تقديمها لهذه الأحداث. لذلك اعتبرناها رواية تعمد إلى تخييل التاريخ انطلاقاً من الكيفية التي تمّ استثمارها للتاريخ في الرواية.

تقدّم رواية إبراهيم الكوني التاريخ كفيلم سينمائي يقوم على تقديمه عبر مَشَاهِد سردية تعتمد على أحداث وشخصيات حقيقية، تروم تبيان موقفها من هذه الأحداث. من هذا المنظور كانت هذه الرواية مغايرة كثيراً لروايات عديدة تعتمد على التاريخ. من ناحية أسلوب تشكيلها الفني المتميز وبنائها المعماري. ومن ناحية تعاملها مع التاريخ البعيد، إذ استطاع الروائي إبراهيم الكوني أن يستحضر التاريخ الليبي روائياً، ويقوم بإسقاطه على الواقع المعاصر. قصد تقديمه للقارئ، بغرض التعرف على تفاصيله وانعطافاته البارزة، خصوصاً وأنه اشتمل على أحداث تاريخية متميزة تنوّعت ما بين الشجاعة(انتصار الجيش الليبي على الأسطول الأمريكي)، والصراع على السلطة داخل عائلة القرمانلي والتي أفضت إلى النزوع نحو القتل(مقتل حسن بك على يد شقيقه الباشا يوسف، وهروب أحمد القرمانلي)، وأيضاً فداحة الاستنجاد بالأجنبي(أمريكا) للوصول إلى السلطة(تحالف أحمد القرمانلي مع الأمريكيين لإسقاط الباشا يوسف)، وهذا هو الهدف الرئيس الذي أراد الروائي إبراهيم الكوني طرحه في روايته. (جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة).

الهوامش:

1.البشير الجلجلي: العجائبي في أعمال إبراهيم الكوني الروائية(بحث في سردية التعجيب)، منشورات سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط2020/1 ص19.

2.بوشوشة بن جمعة:(الرواية الليبية المعاصرة (سيرورة التحوّلات ومعجم الكتّاب)، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2007/01 ص67.

3.سعدي مليكة: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني مقاربة انثروبولوجية، منشورات النشر الجامعي الجديد، تلمسان(الجزائر)، ط2018/01 ص17.

4.إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت(لبنان)، ط02/ 2012 ص15.

5..سيف محمد المري من مقدمة رواية إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات دبي الثقافية، الكتاب رقم 53، ط2011/01 ص04-05.

6.جميل حمداوي: دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق، سلسلة المعارف الأدبية، دار نشر المعرفة، الرباط(المغرب) 2013 ص55.

7. بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2005/01.

8. إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة)، ص380-381.

9. إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة)، ص09.

10. إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة)، ص11.

11.إبراهيم خليل: بنية النص الروائي(دراسة)، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان/منشورات الاختلاف، الجزائر)ط2010/01، ص173.

12.عبد الحكيم سليمان المالكي: جماليات الرواية الليبية من سرديات الخطاب إلى سرديات الحكاية، منشورات جامعة7 أكتوبر، بنغازي(ليبيا)، ط2008/01. ص139.

13.عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)،منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران(الجزائر)،2005 ص 185.

14.إبراهيم الكوني: الفرار إلى التاريخ، أعمال الندوة العلمية التي نُظمت حول الرواية والتاريخ، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، مصر، المجلد17 العدد01-1989 ص406.

المصادر والمراجع:

1/إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت(لبنان)، ط2012/02

2/.إبراهيم الكوني: الفرار إلى التاريخ، أعمال الندوة العلمية التي نُظمت حول الرواية والتاريخ، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، مصر، المجلد17 العدد01-1989.

3/.إبراهيم خليل: بنية النص الروائي(دراسة)، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان/منشورات الاختلاف، الجزائر)ط2010/01.

4/البشير الجلجلي: العجائبي في أعمال إبراهيم الكوني الروائية(بحث في سردية التعجيب)، منشورات سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط2020/1.

5/بوشوشة بن جمعة:(الرواية الليبية المعاصرة (سيرورة التحوّلات ومعجم الكتّاب)، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2007/01.

6/بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2005/01.

7/جميل حمداوي: دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق، سلسلة المعارف الأدبية، دار نشر المعرفة، الرباط(المغرب) 2013 .

8/سيف محمد المري من مقدمة رواية إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات دبي الثقافية، الكتاب رقم 53، ط2011/01

9/سعدي مليكة: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني مقاربة انثروبولوجية، منشورات النشر الجامعي الجديد، تلمسان(الجزائر)، ط2018/01.

10/عبد الحكيم سليمان المالكي: جماليات الرواية الليبية من سرديات الخطاب إلى سرديات الحكاية، منشورات جامعة7 أكتوبر، بنغازي(ليبيا)، ط2008/01.

11/عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد)،منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران(الجزائر)،2005.

مركزيّة المشكلة البحثيّة وأهمّيتها في صناعة المعرفة

The centrality of the research problem and its importance in the knowledge industry

بلقنيشي علي
جامعة ابن خلدون –تيارت-(الجزائر) ali.belkanichi@univ-tiaret.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023 / 02 /28	2023/03/26	2024/ 06 / 01

مُلَخَّصُ البَحث

تحاول الورقة البحثيّة الحاليّة أن تستجلي الحديث عن مشكلة البحث التي تحتلّ مركزيّة هامّة في إعداد أيّ بحث علميّ أكاديميّ، والتي يتوقّف عليها نجاحه، بحيث ترتبط ارتباطا جوهريّا بالموضوع، وتأثيرها جليّ في جميع الخطوات التي تليها، فهي التي تحدّد نوع الدّراسة، وطبيعة المنهج الذي يتّبع، وخطّة الدّراسة وأدواتها، وانطلاقا من هذه الرّؤية جاءت هذه الورقة لتجيب عن الإشكالية التّالية: ما المقصود بالمشكلة البحثيّة؟ وما أهمّيتها في صناعة المعرفة البحثيّة؟ متوصّلة إلى أنّ صناعة مخرجات علميّة رصينة متوقّف على مدى التحكّم في خطوات البحث العلمي.

الكلمات المفاتيح: البحث العلمي، المشكلة البحثيّة، مركزيّة، صناعة المعرفة، الكتابة الأكاديميّة.

Abstract

The current research paper attempts to investigate the research problem that occupies an important central position in the preparation of any academic scientific research, and on which its success depends, so that it is fundamentally linked to the subject, and its impact is evident in all the steps that follow, as it determines the type of study and the nature of the approach that is followed. And the study plan and its tools, and based on this vision, this paper came to answer the following problem: What is meant by the research problem? And what is its importance in creating research knowledge?, concluding that creating solid scientific outputs depends on the extent of controlling the steps of scientific research.

keywords: Scientific research, research problem, centrality, knowledge industry, academic writing.

1. مقدمة:

تعدّ صناعة المعرفة مفتاحا رئيسا لاستيعاب الحاضر ومواجهة تحدّيات ورهانات المستقبل، ولا تؤتي هذه الصّناعة أكلها إلاّ من خلال الاستثمار في مناجم العقل البشري، وتشجيع ثقافة البحث والنّشر العلميّين عبر قنوات أوعية المعلومات الورقيّة منها والإلكترونيّة، والارتقاء من استهلاك المعرفة إلى إنتاجها، ومن البحث عنها إلى تصنيعها، خاصّة في المؤسّسات التي تعنى بإعداد قادة الفكر والمعرفة والوعي، والتي تأتي في مقدّمتها المؤسّسة الجامعيّة التي تتحدّد مكانتها وتصنيفها العلمي بمدى تأثيرها في صناعة المعرفة عالميّا، ومن هنا وجب تدريب الباحثين خاصّة المبتدئين منهم على أبجديّات الكتابة الأكاديميّة، ومعرفة خطوات البحث العلمي الرّصين.

ولعلّ المشكلة البحثيّة هي إحدى المقوّمات الرّئيسة لنجاح أيّ عمل بحثيّ علميّ أكاديميّ؛ لأنّ نجاح هذا الأخير متوقّف على تحديدها، وجدّيتها، وصياغتها، والتّحكّم في مجرياتها العمليّة، كونها من مفترضات البحث العلمي التي تؤثّر على جميع إجراءاته وخطواته، تستفزّ الباحث للإجابة عن تساؤلاتها الرّئيسة والفرعيّة، ولعلّ كثيرا من الباحثين خاصّة المبتدئين منهم يجدون صعوبات جمّة في تحديدها تحديدا علميّا يتماشى وطبيعة الموضوع المطروح للمناقشة والبحث، ويرجع ذلك إلى عدم الإلمام الكافي بأصول البحث وقواعده، وعدم امتلاك مهارات بحثيّة تساعد على صناعة مخرجات علميّة رصينة مجانبة لإعادة النّسخ لما سبق، ومن هنا فإنّ "الخطوة الأولى في الدّراسة العلميّة هي تحديد المشكلة البحثيّة التي ينشد الباحث دراستها، ومعرفة أبعادها بصورة دقيقة، وتحديد كافّة المظاهر التي تتجلّى فيها المشكلة، سواء كانت صعوبة، أو نقصا أو قصورا في المعلومات المتاحة، أو تناقضها فيما بينها ... ولا بدّ أن تكون هناك مبرّرات علميّة يسوقها الباحث لدراسة مشكلة بعينها حتى تعدّ دراستها إضافة علميّة جديدة"[1].

ومن هذا المنطلق نبعت فكرة هذه الدّراسة لتجيب عن الإشكاليّة التّالية: فيم تكمن أهمّية مشكلة البحث في صناعة مخرجات علميّة رصينة؟.

2. مفهوم البحث العلمي:

البحث **لغة** مصدر الفعل الماضي (بَحَثَ) ومعناه: التّتبّع، والسّؤال، والتّحرّي، والتّقصّي والطّلب[2]، وكلّ هذه المعاني متمثّلة في كلمة البحث؛ بمعنى أنّه يتطلّب من الباحث التّفكير والتّحرّي والطّلب والسّؤال عن شيء ما يريده، والتقصّي والتّفتيش عن حقيقة من الحقائق باعتماد الطّريقة العلميّة التي ترتكز على الأساليب المنظّمة .

أمّا **اصطلاحا** فقد تعدّدت مفاهيم البحث العلمي تبعا لأهدافه ومجالاته ومناهجه؛ وقد تباينت تعريفات الباحثين له، لاختلاف اتّجاهاتهم حول هذا المفهوم، فكلّ واحد نظر إليه من زاويته الخاصة وحسب ميوله أو قناعته العلمية، ومن بين هذه التّعريفات:

أنّه وسيلة أو استراتيجيّة للاستعلام والاستقصاء المنظّم والدّقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير المعلومات الموجودة فعلا ، أو تصحيحها على أن

يتبع في هذا الفحص والاستقصاء الدّقيق خطوات المنهج العلمي، واختيار الطّريقة والأدوات اللاّزمة لجمع البيانات والمعلومات وبحثها[3]، وهو مفهوم ركّز على كون البحث: - استقصاء منظّم وله هدف – هدفه هو الوصول إلى معرفة معيّنة، أو التحقّق من معرفة موجودة مشكوك فيها، أو غير ثابتة، أو غير موجودة بانتهاج أسلوب علميّ.

ويعرّفه بدوي عبد الرّحمن بأنّه: "الطّريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامّة التي تهيمن على سير العقل، وتحدّد عملياته حتّى يصل إلى نتيجة معلومة"[4]، أي أنّ الوصول إلى نتائج علميّة تبتعد عن أحكام مسبقة هو المعوّل عليه في سير البحث بطريقة علميّة صحيحة.

ويحدّد باحث آخر مفهومه بأنّه الاستخدام المنظّم لعدد من الأساليب المتخصّصة والإجراءات للحصول على حلّ أكثر كفاية لمشكلة ما عمّا يمكن الحصول عليه بطرق أخرى أقلّ تمييزا[5].

ويعرّفه الباحث إجرائيّا بأنّه عمليّة منظّمة الخطوات تهدف إلى إيجاد حلول لمشكلات محدّدة أو إجابات لأسئلة بحثيّة بالاتّكاء على أساليب موضوعيّة ومناهج ثابتة تفرض نفسها على الباحث لفحص الأدلّة وتقصّي الحقائق، والتي يمكن في النّهاية أن تؤدّي إلى معرفة علميّة جديدة.

وجلّ التّعريفات التي تناولت مفهوم البحث العلمي تشترك في عدد من النّقاط يمكن حصرها في[6]:

- يعدّ وسيلة للاستعلام والاستقصاء الدّقيق.
- أنّه محاولة منظّمة تتبع أسلوبا أو منهجا معيّنا.
- يهدف إلى زيادة الحقائق والمعلومات التي يعرفها الإنسان وتوسيع دائرة معارفه.
- يختبر المعارف والعلاقات التي يتوصّل إليها، ولا يعلنها إلاّ بعد فحصها والتّأكّد منها.
- يشمل جميع ميادين الحياة وجميع مشكلاتها، ويستخدم في جميع المجالات على حدّ سواء.
- يتبع الباحث في تحقيق هدفه خطوات المنهج العلمي خاصّة من ناحية اختيار الطّريقة المناسبة والأدوات اللاّزمة ذات الصّدق والثّبات.

3. مشكلة البحث:

لغة: تدلّ لفظة (مشكلة) في اللّغة على كلّ أمر صعب يوجب التباسا في الفهم، والإشكال هو الالتباس والاشتباه، وهو ناتج عن عدم المعرفة ونقص الاطّلاع، والمشكلة قضيّة مطروحة تحتاج إلى معالجة[7].

اصطلاحا:

تؤكّد أدبيات البحث العلمي على أنّ إشكالية البحث عبارة عن قضيّة تشغل ذهن الباحث فيسعى جاهدا لحلّها، وتكون على شكل سؤال رئيس تتبعه أسئلة فرعيّة، وقد عرّفتها رجاء دويدي بأنّها: "جملة سؤاليّة تسأل عن العلاقة القائمة بين متحوّلين (متغيّرين) أو أكثر، وجواب هذا السّؤال هو الغرض من البحث"[8].

كما عرّفها موريس أنجرس بكونها: "عبارة عن عرض الهدف من البحث على هيئة سؤال، ويجب أن يتضمّن هذا السّؤال إمكانية التقصّي والبحث، وذلك لكي يصل الباحث من خلال بحثه إلى إجابة محدّدة"[9].

أو بعبارة أخرى هي: عبارة عن ذلك التّساؤل الكبير الذي يثير الباحث لكي يبحث له عن حلّ، والمعبّر عن المشكلة التي يريد الباحث دراستها والوصول إلى حلول بشأنها، وهذا السّؤال لا يؤكّد القضيّة أو ينفيها، وإنّما يأتي على صيغة استفهام واستفسار[10].

وقد تكون مشكلة البحث إضافة إلى كونها سؤالا يحتاج إلى توضيح وإجابة، فهي أيضا عبارة عن رغبة في الوصول إلى حلّ لموقف أو مسألة أو قضيّة غامضة لم تشبع، تحتاج إلى إيضاح وتفسير واف وكاف، وأيّا كان تعريفها فإنّها تضع الباحث أمام تساؤلات أو غموض يكوّن لديه رغبة ملحّة في الوصول إلى الحقيقة[11].

وانطلاقا من التّعريفات السّابقة يمكن القول أنّ مشكلة البحث هي سؤال رئيس تتولّد عنه أسئلة فرعيّة، تشغل الباحث ليجيب عنها، وهذه الإجابة هي بمثابة حلّ لتلك الإشكاليّة المطروحة؛ لكونها عامل بالغ الأهميّة في سيرورة البحث العلمي ونجاحه، ونقطة ارتكاز للباحث، تدفعه إلى مطالعة المواضيع التي لها علاقة بالمشكلة البحثيّة التي يتصدّى لها، ولهذا فإنّ المشتغلين بالبحث العلمي يؤكّدون أنّ مرحلة اختيار مشكلة البحث وتحديدها هي من أصعب المراحل التي تواجه الباحث نفسه، بل وربّما تكون أصعب من إيجاد الحلول لها[12].

4. خطوات تحديد المشكلة:

يجد الباحث نفسه أمام العديد من مشكلات البحث، فهل كلّها تستحق البحث والدّراسة؟ وقد حدّد الباحثون جملة من الأسس في تحديد المشكلة الجديرة بالبحث، لعلّ أبرزها[13]:

- إحساس الباحث بالمشكلة وشعوره بها، فهذا الشّعور هو الحافز الطّبيعي الذي يحفّز العقل على التّفكير ، ويدفعه إلى البحث والاستقصاء.
- يجب أن يتأكّد الباحث من أنّ مشكلة بحثه التي اختارها ليست غامضة أو عامّة بدرجة كبيرة لذلك ينبغي عليه أن يكون دقيقا في اختياره لها وتحديدها.
- يجب أن تحقّق مشكلة البحث فائدة بالنّسبة للعلم والمجتمع، وأن تبتعد قدر المستطاع عن كلّ ما يتعلّق بالنّواحي السّياسيّة، والعقائديّة، وأنظمة الحكم ..... لما لذلك من أثر سلبيّ يعود على الباحث نفسه.
- يجب أن تقع مشكلة البحث في مجال تخصّص الباحث حتى يتمكّن من التعمّق الجيّد في بحثه، وأن تتّفق وقدراته العلميّة والماديّة.
- يجب أن تتّفق مشكلة البحث واهتمامات الباحث نفسه؛ لأنّ ذلك سوف يساعده بسهولة على سرعة الإلمام التّام بالتّراث الفكري للبحث، وتحديد منطلقاته النّظريّة.
- يجب على الباحث وضع حدود للمشكلة، وحذف جميع الجوانب والعوامل التي سوف لا يتضمّنها البحث أو الدّراسة، فضلا عن إمكانية القيام بدراستها لتحقيق قيمة علميّة.
- يجب على الباحث مسبقا تحديد المصطلحات الخاصّة التي تتضمّنها مشكلة البحث.
- يجب اختيار مشكلة تتّصف بالجدّة لم يسبق تناولها، وأن تتميّز بقيمة علميّة، إذ لا قيمة لبحث ما

لم يبرز حقائق علميّة يمكن الاستفادة منها، والاستناد إليها في مجال البحث العلمي والتّطبيقي.

- توافر أوعية المعلومات المختلفة والبيانات المطلوبة للمشكلة موضوع البحث.

5. صياغة مشكلة البحث:

تحتلّ المشكلة مركزيّة هامّة في البحث العلمي، إذ أنّ نجاح هذا الأخير مرهون بتحديدها تحديدا علميّا إضافة إلى طريقة صياغتها بشكل صحيح يخدم موضوع البحث، حتى لا تبقى الأفكار مشوّشة والجهود مبعثرة، ومن هنا "تكمن أهمّيتها في تأثيرها الكبير في جميع الخطوات التي تليها، فهي التي تحدّد نوع الدّراسة وطبيعة المنهج الذي يتبع، وخطّة الدّراسة وأدواتها، وكذا نوعية البيانات المطلوبة"[14].

وعليه فإنّ الباحث يقوم بصياغة المشكلة صياغة دقيقة محددة، من خلالها وضعها في قالب محدّد يسهل معه التّعامل مع المشكلة ودراستها؛ لأنّ هذا التّحديد يساعد الباحث نفسه في المقام الأوّل على القيام بالخطوات اللاّزمة لإنجاز البحث بيسر وسهولة، وفيما يلي بعض الطّرق لصياغة المشكلة: [15]:

1- أن يكون موضوع البحث محدّدا وغير غامض أو عام حتى لا يصعب على الباحث التعرّف على جوانبه المختلفة فيما بعد.

2- تكون الصّياغة واضحة بعبارة لفظية تقديرية، أو صياغة على هيئة سؤال يضفي الوضوح، ويجعل المشكلة مطروحة بشكل مباشر بعيد عن اللّغة الغامضة والمبهمة؛ وذلك لكي يفهم القارئ إشكالية البحث العلمي بشكل واضح، أي أن تكون واضحة في مصطلحاتها ومفرداتها العلميّة، وخالية من الحشو اللّفظي أو التّناقض، أو تصاغ على هيئة فرض علمي يمكن اختباره، وهذه الصّياغة الأخيرة تلائم المشكلات التي يكون فيها متغيران أو أكثر.

3- أن تصاغ في شكل علاقة بين متغيّرين أو أكثر، بحيث يجب أن يحرص الباحث على إبراز العلاقة بين المتغيّرات المشكلة للظّاهرة محلّ الدّراسة، وتحديد شكل تلك العلاقة، وهل هي علاقة طردية أو عكسية، وأن تكون هذه المتغيّرات محدّدة وقابلة للقياس.

4- إمكانية التوصّل إلى حلّ للمشكلة أو القابليّة للاختبار، من خلال إمكانية إخضاعها للدّراسة العلميّة، وفرض الفروض المتعلّقة بها، وجمع البيانات والمعلومات واختبارها.

5- تحديد نطاق المشكلة البحثيّة زمانا ومكانا ممّا يوفّر الجهد والوقت، والاستفادة من الدّراسات السّابقة المتخصّصة، وأن يتمّ الرّبط بينها وبين الإمكانات المتاحة الماديّة والاقتصاديّة.

وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أهمية اختيار عنوان البحث باعتباره أوّل ما يستدعي انتباه القارئ ويعطي انطباعا وافيا عن مضمون البحث، لذلك يتّسم العنوان بـ: -أن يكون دقيقا معبرا عن مشكلة البحث- أن يكون جديدا مبتكرا- أن يكون شاملا متناسبا مع مشكلة البحث- أن يكون مختصرا خاليا من الإطالة والزيادة- أن يكون جذابا[16].

وتأسيسا على ما ذكر فإنّ من أساليب ومعايير اختيار المشكلة وتقييم صياغتها، الإجابة على التّساؤلات التّالية[17] :

1- هل المشكلة موضوع البحث تتّفق مع النّظريات العلميّة المعتمدة في مجال البحث؟

2- هل بالإمكان الحصول على المعلومات التي يحتاجها البحث؟ وهل المشكلة قابلة للبحث والحل؟

3- هل تستحوذ المشكلة على اهتمام الباحث وتنسجم مع رغبته الشّخصيّة؟

4- هل لديك –كباحث- الرّغبة في البحث والصّبر على معوّقاته للوصول إلى الإبداع والتميّز؟

5- هل تتوفّر الإمكانات الماديّة والشّخصيّة ومؤهّلات البحث في هذه المشكلة؟

6- هل سبق وأن بحثت المشكلة من قبل باحثين سابقين؟ أو هل هي مشكلة جديدة، وما هي علاقتها بمشاكل بحثيّة أخرى؟ وهل ستؤدّي إلى توجيه الاهتمام ببحوث ودراسات أخرى؟

7- هل يمتلك الباحث مهارات وقدرات تؤهّله للبحث في المشكلة المحدّدة سلفا للوصول إلى نتائج علميّة موثوق بها؟ (المقدرة العلميّة).

8- ما هي أهمّية مشكلة البحث وفائدتها العلميّة؟ وهل يمكن تعميم النّتائج المتوصّل إليها من خلال بحث هذه المشكلة؟

9- هل أنّ مشكلة البحث تتّفق مع الأهداف المستقبليّة، والمجال الدّقيق الذي يرغب الباحث التخصّص به؟

وانطلاقا من هذه الأسس والمعايير يمكن الحكم على أهمّية مشكلة البحث من عدمها، فإذا اتّفقت مع أغلب هذه المعايير أو بعضها فإنّها تكون مقبولة جديرة بالبحث والدّراسة.

6. مصادر مشكلة البحث:

يمكن للباحث أن يستعين في حلّ مشكلة البحث بالمصادر الآتية[18]:

1- المجتمع نفسه الذي يعيش فيه؛ بمعنى أن تكون مشكلة يواجهها المجتمع، ويمكن لأي باحث أن يلمسها ويدرك أبعادها ومخاطرها، مثل مشكلة حوادث السّيارات، ومشكلة الإدمان... الخ، أو بعبارة أخرى من مشاكل السّاعة التي تحدث في المجتمع أو من بعض الظّواهر التي تثير رأي المواطنين وتؤثّر على اتّجاهاتهم وأفكارهم وعقائدهم.

2- الملاحظات العابرة غير المقصودة، أو من البيئة الصفيّة، أو من المواد التّعليميّة وطرائق التّدريس.

3- القراءة المستمرة في الإنتاج الفكري، وتصفّح مواقع الإنترنت ذات العلاقة بمجال دراسته، والدّراسة المسحيّة للبحوث السّابقة والتي تقع في نطاق تخصّصه، أو من خلال مجال ثقافي محدّد، ومراجعة الرّسائل العلمية خصوصا الأجزاء الخاصة بالتّوصيات التي يقدّمها الباحثون لإجراء دراسات مستقبلية، أو من مراكز البحوث والهيئات والمؤسّسات العلميّة المتخصّصة، والتي تضع في برامجها كثيرا من مشاكل البحث استعدادا لطرحها للدّراسة.

4- حضور المناقشات العلمية سواء على شكل حلقات بحث أو ندوات أو مؤتمرات أو مناقشة الرسائل العلمية في التخصص، والتحدث إلى الأساتذة والزملاء، أو من خلال وجهات النّظر الجديرة بالدّراسة التي يثيرها غيره من العلماء والمتخصّصين.

5- الخبرة العملية للباحث، إذ يمكنه اختيار إحدى المشكلات في مجال عمله كموضوع للبحث من خلال ما تثيره من تساؤلات... وغيرها، أو من خلال وجهات النّظر المتباينة مع وجهة نظره في موضوع معيّن.

7. مواصفات المشكلة الجيّدة:

هناك مواصفات معينة يتعيّن توفّرها حتّى يمكن اعتبار المشكلة جيّدة، وجديرة بالبحث والدّراسة، ومن أهمّ تلك المواصفات ما يلي[19]:

1- أن تستحوذ على اهتمام الباحث، وفي متناوله، وتتناسب مع قدراته وإمكاناته من حيث الوقت والكفاءة والتّكاليف.

2- أن تكون ذات قيمة علمية، بمعنى أن تمثّل دراستها إضافة علميّة في مجال تخصّص الباحث أو أن يتمّ تطبيق النّتائج الّتي يتمّ التوصّل إليها في الواقع العملي.

3- أن تحدّد المشكلة علاقة بين متغيّرين أو أكثر.

4- أن تكون واقعية بمعنى أنها ليست افتراضية، أو من نسج الخيال.

5- التّعبير بدقّة عن المشكلة بحيث يتضمّن إمكانية الاختبار.

6- أن تمثّل موضوعًا محددًا تسهل دراسته، بدلاً من أن يكون موضوعًا عامًا ومتشعّبًا يصعب الإلمام به أو تناوله.

7- أن تكون المشكلة قابلة للبحث في شكل أسئلة محدّدة، بمعنى أن تنبثق عن فرضيات قابلة للاختبار علميّا لمعرفة مدى صحّتها، وأن تتوافر على المعلومات والتسهيلات التي يحتاجها الباحث، أو أن تتوفّر فيها المصادر التي يستقي منها الباحث المعلومات عن المشكلة.

8. خاتمة:

في ختام هذا الورقة يقف الباحث على مجموعة من النّتائج يمكن إجمالها في النّقاط التّالية:

- إنّ النّجاح الأكاديمي العلمي والفكري، وتقدّم الأمم ورقيّها متوقّف على منجزات البحث العلمي، كما أنّ التّصنيف العلمي لأيّ جامعة منوط بالدّرجة الأولى بالمكانة التي تتبوّأها بحوثها العلميّة، ومدى تأثيرها في صناعة المعرفة عالميّا.

- إنّ عمليّة اختيار موضوع البحث من أهمّ العناصر المنهجيّة التي يتوجّب على الباحث المبتدئ الإلمام بها.

- تحتلّ المشكلة البحثيّة مركزيّة هامّة في البحث العلمي الرّصين، إذ يتوقّف عليها نجاحه، وذلك لارتباطها الوثيق بجميع المراحل البحثيّة التي تليها.

استشرافات ومقترحات:

- ضرورة تغيير المفاهيم التّقليديّة المتعلّقة بالبحث والنّشر العلميّين من أجل إيجاد التّوافق بين مدخلات ومخرجات التّعليم العالي، وتسجيل الحضور الفعلي على الشّبكة العنكبوتيّة، وإنتاج جيل بحثيّ

بامتياز يساير التّقنيات الحديثة.

- السّعي الحثيث لوضع خطط استراتيجيّة وآليات فعّالة لتشجيع الباحثين على البحث والإبداع، من خلال تفعيل الاتّصال العلمي بين الباحثين المبتدئين والكوادر العلميّة لصناعة معرفة نوعيّة أصيلة.

- تشجيع الباحثين على البحث العلمي الرّصين، وتدريبهم على آلياته لتحطيم معادلة الكم على حساب النّوع.

الهوامش:

---

(1)- معتز سيّد عبد الله، وعبد اللّطيف محمّد خليفة، علم النّفس الاجتماعي، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ص:69، 70.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (بحث)، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999م، ص: 321، 322.

(3)- عباش عائشة وآخرون، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعيّة، المركز الدّيمقراطي العربي للدّراسات الاستراتيجيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، برلين، ألمانيا، (دط)، 2019م، ص:34.

(4)- بدوي عبد الرّحمن، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م، ص:5.

(5)- عفيفي، حمودة محمّد، (1983م)، البحث العلمي أصول وقواعد البحث وكتابة التّقارير والبحوث، ط2، مكتبة عين شمس، القاهرة، مصر، ط2، 1983م، ص:12، 15.

(6)- ينظر: عليان، ربحي مصطفى، وعثمان محمّد غنيم، أساليب البحث العلمي الأسس النّظريّة والتّطبيق العملي، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن.، ط2، 2008م، ص:22.، و بوحوش عمار ، محمّد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط4، 2007م، ص:17.

(7)- ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، مادة (شكل)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1429ه، 2008م، ص:1228، 1229.

(8)- دويدري رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النّظريّة وممارساته العمليّة، دار الفكر، 2006م، ص:91.

(9)- موريس أنجرس، منهجيّة البحث العلمي في العلوم الإنسانيّة، (تر) بوزيد صحراي وآخران، دار القصبة، الجزائر، 2006م، ص:149.

(10)- ينظر: بوحوش عمار وآخرون، منهجيّة البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعيّة، المركز الدّيمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، برلين، ألمانيا، (دط)، (دت)، ص:46.

(11)- عبيدات ذوقان وآخران، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، الأردن، (دط)، (دت)، ص:64.

(12)- ينظر: عبد الباسط محمّد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط5، 1976م، ص:161، 162.

(13)- محمّد الغريب عبد الكريم، البحث العلمي التّصميم والمنهج والإجراءات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندريّة، مصر، ط2، (دت)، ص:30 وما بعدها.

(14)- ينظر: قنديلجي عامر، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليازوري العلميّة، عمان، الأردن، ط1، 1418ه، 1999م، ص:62، 63.

(15)- ينظر: شلبي محمّد، المنهجيّة في التّحليل السّياسي، الدّيوان الوطني للمطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط1، 1997م، ص:32، 33، و بوحوش عمار وآخرون، منهجيّة البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعيّة، ص:47، 48.

(16)- ينظر: العسكري عبود عبد الله، منهجيّة البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار النمير، دمشق، سورية، ط2، 2004م، ص:33.

(17)- ينظر: الطّائي مصطفى حميد و خير ميلاد أبو بكر، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في الإعلام والعلوم السّياسيّة، دار الوفاء للطّباعة والنّشر، الإسكندريّة، مصر، ط1، 2007م، ص:26، ويوسف الحاج اسماعيل، محاضرات في منهج البحث العلمي، دار العلا للطّباعة والنّشر، العراق، ط1، 2019م، ص:20، وحاتم أبو زايدة، مناهج البحث العلمي، مركز أبحاث المستقبل، غزّة، فلسطين، ط2، 2012م، ص:61.

(18)- ينظر: حافظ عبد الرّشيد، أساسيات البحث العلمي، مركز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدّة، السعوديّة، ط1، 1433هـ، 2012م، ص:5، ومحمّد عبد السلام، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مكتبة نور، 2020م، ص:86 وما بعدها، والقواسمة رشدي وآخرون، مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط2، 2008م، ص:70، 71.

(19)- ينظر: مصباح عامر، منهجية البحث في العلوم السّياسيّة والإعلام، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2010م، ص:31، 32، و حافظ عبد الرّشيد، أساسيات البحث العلمي، ص ص: 6، 21، وبوحوش عمار ، محمّد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ص:44 وما بعدها.

المصادر والمراجع:

أوّلا: المؤلّفات:

1- بدوي عبد الرّحمن، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م.

2- بوحوش عمار وآخرون، منهجيّة البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعيّة، المركز الدّيمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، برلين، ألمانيا، (دط)، (دت).

3- بوحوش عمار ، محمّد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط4، 2007م.

4- حاتم أبو زايدة، مناهج البحث العلمي، مركز أبحاث المستقبل، غزّة، فلسطين، ط2، 2012م.

5- حافظ عبد الرّشيد، أساسيات البحث العلمي، مركز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدّة، السعوديّة، ط1، 1433هـ، 2012م.

6- دويدري رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النّظريّة وممارساته العمليّة، دار الفكر، دمشق، سورية، 2006م.

7- شلبي محمّد، المنهجيّة في التّحليل السّياسي، الدّيوان الوطني للمطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط1، 1997م.

8- الطّائي مصطفى حميد و خير ميلاد أبو بكر، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في الإعلام والعلوم السّياسيّة، دار الوفاء للطّباعة والنّشر، الإسكندريّة، مصر، ط1، 2007م.

9- عباش عائشة وآخرون، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعيّة، المركز الدّيمقراطي العربي للدّراسات الاستراتيجيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، برلين، ألمانيا، (دط)، 2019م.

10- عبد الباسط محمّد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط5، 1976م، ص:161، 162.

11- عبيدات ذوقان وآخران، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، الأردن، (دط)، (دت).

12- العسكري عبود عبد الله، منهجيّة البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار النمير، دمشق، سورية، ط2، 2004م.

13- عفيفي، حمودة محمّد، البحث العلمي أصول وقواعد البحث وكتابة التّقارير والبحوث، مكتبة عين شمس، القاهرة، مصر، ط2، 1983م.

14- عليان، ربحي مصطفى، وعثمان محمّد غنيم، أساليب البحث العلمي الأسس النّظريّة والتّطبيق العملي، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن.، ط2، 2008م.

15- قنديلجي عامر، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليازوري العلميّة، عمان، الأردن، ط1، 1418ه، 1999م.

16- القواسمة رشدي وآخرون، مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط2، 2008م.

17- محمّد الغريب عبد الكريم، البحث العلمي التّصميم والمنهج والإجراءات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندريّة، مصر، ط2، (دت).

18- محمّد عبد السلام، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مكتبة نور، 2020م.

19- مصباح عامر، منهجية البحث في العلوم السّياسيّة والإعلام، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2010م.

20- معتز سيّد عبد الله وعبد اللّطيف محمّد خليفة، علم النّفس الاجتماعي، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، (دط)، (دت).

21- موريس أنجرس، منهجيّة البحث العلمي في العلوم الإنسانيّة، (تر) بوزيد صحراي وآخران، دار القصبة، الجزائر، 2006م.

22- يوسف الحاج اسماعيل، محاضرات في منهج البحث العلمي، دار العلا للطّباعة والنّشر، العراق، ط1، 2019م.

ثانيا: المعاجم:

23- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999م.

24- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1429ه، 2008م.

نجاح البحث الأكاديمي بين اختيار الموضوع ودقة الإشكالية

The success of the academic research between choosing the topic and the accuracy of the problem

خلف الله بن علي

جامعة تيسمسيلت (الجزائر) Benali.khalfallah@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023 / 05 / 21	2023 / 10 / 19	2024 / 06 / 01

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة جزئية هامة من جزئيات البحث العلمي الأكاديمي ونقصد اختيار الموضوع وتحديد الإشكالية له، فلا يمكن لأي باحث أن ينجز موضوعا مفيدا له ولغيره، وأن يضيف شيئا لمجال المعرفة الإنسانية إذا لم يحسن اختيار موضوع بحثه وأن يضع له إشكالية يقوم بحلها أثناء عملية البحث والتقصي.

الكلمات المفاتيح: المنهجية، البحث الأكاديمي، اختيار العنوان، الإشكالية.

Abstract

This study deals with an important part of the academic scientific research, and we mean choosing the topic and defining the problem for it. No researcher can complete a useful topic for himself or others, and add something to the field of human knowledge if he does not choose the subject of his research and put a problem for him to solve during the research and investigation process. .

keywords: Methodology, academic research, choice of title, problem.

1. مقدمة:

نلاحظ أنّ عصرنا يتميز عن غيره من العصور بالتطور الهائل للعلوم وفي شتى مجالات المعرفة، وبالتأكيد فإن السبب الرئيس في ذلك هو البحث العلمي، فالعلم -كما هو معروف- هو مجموعة متسلسلة من الأفكار والآراء والتصورات تسبقها الملاحظة أولا ثمّ التجربة ثانيا، وهذه الملاحظات والتجارب المنتجة للمعرفة جاء بها أو تحصّل عليها الإنسان عن طريق آلية البحث والتنقيب، ولولا البحث لما كان العلم، والحضارة الإنسانية -خاصة المعاصرة- يتقاسمها شقّان أو ركنان؛ الأول هو العلم والثاني هو البحث «فالبحث هو شعار الحياة البَانِية، المتجددة، التي تصنع الحضارة والرفاهية للإنسان»[1].

وإذا عدنا إلى الماضي البعيد أي قبل عصر النهضة الأوروبية لم نجد للبحث العلمي دورا يذكر، ولكن سرعان ما تغيّر الحال رأسا على عقب، فمع ازدياد عدد البشر في القرن التاسع عشر الميلادي (19) وتكوّن الصناعات الكبيرة، والرغبة الجامحة في زيادة الإنتاج الزراعي والصناعي؛ أصبح للبحث تأثير كبير في مواجهة المشاكل والعمل على حلها؛ بغية تحقيق النجاح في مجالات الحياة المختلفة وإسعاد البشر وتقدّمهم[2]، لذلك نجد الدول المتطورة قد اهتمت بالبحث العلمي أيّما اهتمام؛ كونه من الأسباب الرئيسية للتقدم والتطور.

كما عملت على مكافأة الباحثين المنتجين للأفكار وللمعرفة التي تخدم التقدّم والتطوّر بالجوائز والأوسمة ووفرت لهم كل أسباب الحياة الكريمة بل وكل أسباب الرفاهية، وقد ساعد هذا الاهتمام الشديد بالبحث العلمي في استحداث تخصصات في الدراسات العليا تهتم بتدريس طرق البحث في الجامعات والمعاهد، كونها أساس تكوين الباحثين وإعدادهم الإعداد السليم.

2.ماهية البحث العلمي:

يعرف الباحث العلمي في الاصطلاح على أنه ذلك: «الجهد الذي يبذله الباحث تفتيشا وتنقيبا وتحقيقا وتحليلا ونقدا ومقاربة في موضوع ما بغاية اكتشاف الحقيقة أو الوصول إليها... وهو التقرير **Rapport** الموضوعي الكامل الشامل الوافي المعلل بالأدلة والأسانيد والمجرد من كل ميل أو هوى، الذي يقدّمه الباحث، ولاسيما الأكاديمي أو الجامعي، حول موضوع ما، أو مشكلة ما، إلى لجنة مختصة بغاية انتزاع الرضى أو الثناء عليه أو الإعجاب به للحصول على درجة علمية معينة»[3].

ويعرفه باحث آخر بقوله هو: «تقرير وافٍ يقدمه باحث عن عمل تعهده وأتمه، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة مرتبة مؤيدة بالحجج والأسانيد، وتتوقف قيمة هذا التقرير (الرسالة/البحث) على عوامل متعددة، ولكن أهم هذه العوامل هو أن يكون هدف الطالب خلال عمله البحث عن الحقيقة، فإذا ظفر بها أعلنها، اتفق مع ميوله أو لم يتفق»[4]، إذن فأهم قضية قد يؤكد عليها البحث -بعد المعارف وتنظيمها وهيكلتها- هي الحقيقة والابتعاد تماما عن الذاتية والأهواء والميولات والأيديولوجيا وكل ما من شأنه أن يجردنا من الحقيقة، والبحث العلمي من وجهة أخرى هو «عمل منظم يهدف إلى حلّ مشكلة معرفية باستقراء جميع مكوناتها التي يظن أنها أساس الإشكال»[5]، فالتنظيم أمر ضروري بل أساسي بالنسبة لعملية البحث، كما أن من يقومون بعملية البحث ونقصد الأكاديميون هنا يقدمون لمجتمعاتهم خاصة وللإنسانية عامة حلولا لما قد يصادف المجتمع من مشاكل في كل فروع المعرفة وفي كل مناحي الحياة (اجتماعية/ اقتصادية/ سياسية/ دينية/ صناعية) وغيرها.

والغرب كما هو معروف يشجعون بل يقدسون البحث العلمي في مجتمعاتهم، حتى إنهم ليخلقون هالة كبرى حول رجالات العلم والأدب والمخترعين والمبتكرين والمنظرين والفلاسفة لديهم، فيصفونهم بأنهم عظماء[6] تكريما وتعظيما لهم من جهة، ومن جهة مقابلة يزرعون في الأجيال الصاعدة حبّ العلم والبحث العلمي والاستكشاف من أجل نيل شرف العظمة.

3.الغاية من البحث العلمي:

البحث العلمي بكل أنواعه سواء كان مقالة متخصصة أو رسالة أو أطروحة غايته واحدة هي الانطلاق من حيث انتهى إليه الغير، وكذلك الإسهام في زيادة وتطوير المعرفة الإنسانية بكل فروعها، وقد يتجلى هذا الإسهام في النواحي الآتية:

أ- في دراسة أحد الموضوعات الشائكة أو المعقدة أو المختلف حولها.

ب- اكتشاف حقائق جديدة في موضوع ما يستحق الدراسة.

ج- اكتشاف عوامل وأسباب جديدة غير معروفة لحقائق موضوعات قديمة متعارف عليها.

د- في بعث أو خلق موضوع جديد من معلومات أو مادة متناثرة وترتيبها بصورة مبتكرة جديدة ومفيدة.

هـ- في فهم جديد للقديم (التراث) عن طريق قراءة جديدة له، وبطريقة بحث مغايرة للطرائق المعروفة (أي استخدام منهج جديد مغاير للمناهج المستخدمة في دراسة التراث مثلا وفهمه) [7].

وإذا عدنا إلى أعلام التراث العربي وفي مجال أهمية البحث في العلوم نجد العلوي يحصر مراتب تأليف الكتب في سبعة وهي: «استخراج ما لم يسبق استخراجه، وناقص في الوَضْحِ يتمم نقصه، وخطأ يصحح الحكم فيه، ومستغلق بإجحاف الاختصار يشرح أو يتمم بما يوضح استغلاقه، وطويل يبدد الذهن طوله يختصر من غيره إغلاق ولا حذف لما يخل حذفه بغرض المصنف الأول، ومتفرق يجمع شتات تبدده على أسلوب صحيح قريب، ومنثور غير مرتب ترتيبا يشهد صحيح النظر أنه أولى في تقريب العلم للمتعلمين من الذي تقدم في حسن وضعه وترتيبه وتبويبه»[8]، وهذا الكلام لا يكاد يختلف عما دبجه المعاصرين من تعاريف لهذا الشق من المغرفة.

4.معايير نجاح اختيار الموضوع:

في البداية يجب الإشارة إلى أننا سنركز قليلا على مجال تخصصنا ونعني اللغة والأدب العربي، وعليه ومن خلال تجربتنا فإن الاشتغال على موضوع في اللغة الأدب أمر صعب وليس كما يعتقد بعض الباحثين أنه هين وسهل، ولعل سبب ذلك يعود بالأساس إلى أنه يتوجب على الباحث في هذا المجال أولا سعة الثقافة والخلفية المعرفية الواسعة مما يمكنه من التعامل مع موضوع بحثه بسهولة، وربما الكثير من الباحثين يجدون صعوبة كبيرة في اختيار مواضيع بحوثهم، فيلجأون إلى أساتذتهم لتوجيههم، وهذه طريقة غير صحيحة إلى حدّ بعيد؛ لأنهم قد يرشدونهم إلى مواضيع قد لا تتفق مع ميولاتهم ورغباتهم فيفشلون فيها، أو قد يجدون صعوبة كبيرة في إتمام بحوثهم، لذلك كان لزاما على الباحث الناشئ أو المبتدئ أن يكثر القراءة والاطلاع على الكتب في مجال تخصّصه حتّى يكوّن رؤية شاملة تتيح له اختيار موضوع يتناسب ويتلاءم وميولاته.

وبهذه الطريقة يتخلص الباحث من الخضوع والانقياد لأفكار غيره، ويكوّن لنفسه شخصيته العلمية والتي تساعده على البحث والتنقيب، فيتحول إلى «صاحب عقل حرّ مستقل له شخصيته وله طموحه، ومحاولته الجادة في أن يشارك غيره من الباحثين آراءهم، وألاّ يكون نسخة ممسوخة أو مشوهة لهم... ومن أخطر الأشياء أن يبدأ الباحث حياته عالة على غيره من الباحثين الذين سبقوه، فإن ذلك يصبح خاصة من

خواص بحوثه، ولا يستطيع -فيما بعد- أن يتحول إلى باحث بالمعنى الدقيق لكلمة باحث، فقد انطبع بطوابع التبعية لغيره، فوجوده دائما تابع لغيره»[9]، خاصة في أيامنا بعد انتشار المعرفة على شبكة الأنترنت مما سهّل على الباحثين النقل والنسخ دون أي لمسة شخصية للباحث، فتجد الكثير من الطلبة والباحثين على أيامنا لا يستطيعون الاحتفاظ بالمعلومات في ذاكرتهم بسبب الاعتماد الشبه كلي على هذه الشبكة، والاستعانة بها بطريقة غير صحيحة، مما يجعله يدمن على الأخذ منها وبالتالي يغيب هو وتغيب شخصيته الباحثة.

وما يغفله أو يتغافل عنه الكثير من الباحثين هو قضية الخلفية المعرفية، فالقراءة والمطالعة وإدمان تصفح الكتب يكوّن شخصية الباحث تكوينا سليما وصحيحا وفعّالا، والبحث في مجال اللغة والأدب لاشكّ أنه يحتاج منّا التركيز على عينة محددة أو مجال محصور كأن نختار عصر من العصور الأدبية أو إقليم من أقاليم العالم العربي الشاسع أو شخصية أدبية أو لغوية أو نقدية، مركزين على القضايا التي تتعلق ببحثنا وموضوعه، وإذا أخذنا العصر مثلا فهو: «يعني الفترة الزمانية التي ستضم أطرف بحثه، وعلى الباحث المبتدئ أن يحدد نفسه إزاء العصر، فيختار منه جانبا أو شخصية بعينه، أما إذا اختار العصر برمّته فإن ذلك يؤول به إلى أن يضطرب الموضوع في يده؛ لاتساع ساحته الزمانية، ولنفرض أنه اختار العصر الجاهلي أقل العصور الأدبية تعقيدا... فإنه سيجد نفسه داخل غابات ملتفة لا يعرف كيف النفوذ منها لقلة تجاربه، إذ سيضطر إلى التعمق في تاريخ الجزيرة العربية القديم، وشؤون حياتها الاجتماعية والثقافية والدينية، والتعمق كذلك في معرفة تاريخ اللغة العربية ولهجاتها العتيقة، وأيضا التعمق في رواية الشعر الجاهلي وتدوينه ومعرفة خصائصه وأعلامه وسماتهم الفنية، وهي أعباء ثقال حري بالباحث الناشئ ألا يلقيها -في مطلع بحوثه- على كاهله، بل يختار منها شاعرا مثل امرئ القيس أو زهير أو النابغة، وهو حتى في اختيار الشاعر ينبغي أن يثير فيه مباحث لم يسبقه أحد إليها، حتى يفيد بحثه الدراسات الأدبية فوائد جديدة، فإذا اختار مثلا امرئ القيس أثار فيه مقارنة لغوية دقيقة بين رواية الأصمعي لديوانه وروايات غيره من اللغويين الموثوقين، وأضاف إلى ذلك مقارنة لغوية بين هذه الروايات وما وضع على امرئ القيس من الشعر المنحول الكثير»[10].

والكلام نفسه ينطبق على المواضيع المعاصرة وكذا الشخصيات المعاصرة، فمثلا القصيدة الحرة أو شعر التفعيلة في الأدب العربي المعاصر أخذ حيزا كبيرا في الساحة الإبداعية العربية إن لم نقل حل محل الشعر العمودي، وله رواد وأتباع كثر، فيختار الباحث الناشئ مثلا أثر الغرب -باعتبار الشعر الحر غربي المنشأ- في رواد القصيدة الحرة في الوطن العربي ويحدد نموذجا واحدا كالسياب أو نازك الملائكة أو صلاح عبد الصبور، أو يركز على ظاهرة من المظاهر الفنية في تلك القصيدة ويقتصر على شاعر واحد مثلا، أو تيمة معينة لدى شاعر واحد أو شاعرين.

أما فيما يخصّ الأعلام فعلى الباحث أن يتجنب المغمورين الذين لا نشاط كثير يذكرهم بل يركّز على الأعلام (شعراء أو أدباء) ذوي الصيت الذائع والملكات الخصبة المصقولة من الذين تعددت وتنوعت جوانب نشاطهم سواء الأدبي الإبداعي أو النقدي أو البحثي، وعليه الاكتفاء بجانب واحد للتعمق فيه، ومثال ذلك الشاعر العباسي الضرير بشار بن برد والذي يعده نقاد الشعر رائدا من رواد الشعر في عصره وفي عصر بني

العباس، حتى اعتبره الدّارسون والنقاد رائد التجديد وزعيمه عصرئذٍ، فلا يدرس الباحث كل ما يحيط به في بحث واحد، بل يختار جزئية أو جانبا محددا، فمثلا يقتصر على دراسة أثر بصره على شعره، أو تلفيقه بين القديم والجديد في إبداعاته الشعرية، أو تمظهر شعوبته وزندقته في نصوصه الشعرية، أو قضية حبه الحسي وغزله الإباحي، نلاحظ أن كل جزئية من هذه الجزئيات يمكن أن يبحث فيها بشكل منفرد «وشاعر كأبي تمام متعدد الجوانب أيضا، ويمكن أن يدرس عنده دراسة مستقلة، وصفه للمعارك الحربية وانتصارات العرب المدوية في عصره على البابكية وأتباعها والبزنطيين، ويمكن أن يدرس مذهبه وما يجلّل أشعاره من غموض، وما يجري فيها من معانٍ مبتكرة، وحتى الاستعارات وحدها يمكن أن تنفرد عنده بالدّرس، فيناقش فيها رأي الآمدي وغيره من نقاد العرب... وفي المتنبي جوانب أكثر سعة مثل شخصيته، ومثل إحساسه العميق بالعروبة وثورته في سبيلها ثورة عارمة، ومثل تمجيده للقوة والبطولة العربية في سيفياته، ومثل كافورياته، ومثل حكمه وما يداخلها من نظرات اجتماعية، وإنسانية وفلسفية، وكل هذه الجوانب عند المتنبي وما أشرنا إليه مما يماثلها ويناظرها عند غيره من الشعراء النابهين، بأن يقتصر الباحث الناشئ على جانب منها»[11]، والكلام نفسه ينطبق على الشخصيات المعاصرة من مبدعين في مجالات الأدب المختلفة شعرا أو نثرا أو نقدا.

ويرى شوقي ضيف أنه يتوجب على الدارس الناشئ للأدب أن يتسلّح بالثقافة الواسعة كمعرفته بعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وبيان وأخبار، ولابد له من الوقوف على الفكر الفلسفي، وكذا تاريخ الأدب والمدارس العربية وأسباب ظهورها، وأهمّ خصائصها وأعلامها وما إلى ذلك، وفي رأي شوقي دائما فلن يستطيع باحث في الأدب العباسي مثلا أن يسبر أغواره بدون الوقوف على المذاهب الأدبي وآراء المعتزلة والمرجئة والمتكلمين وغيرها، إذا دخلت في الفكر العباسي أسراب من الثقافات الأجنبية كالفارسية والهندية واليونانية وغيرها[12]، وقضية الرصيد الثقافي والخلفية المعرفية مهمة جدا بالنسبة لدارسي اللغة والأب عموما، ولا يمكن لصاحب الثقافة الضحلة والقليلة أن ينجح في إعداد بحث علمي في المستوى لفقدانه لأهم المعالم التي تنير الطريق ونقصد الزاد العلمي.

وإذا عجنا على الأدب الحديث فإن مهمة الباحث فيه ستكون حتما أشدّ صعوبة من الباحث في الأدب القديم، إذ يفترض عليه الوقوف طويلا على الآداب الأجنبية معرفة ودراسة، ولابد أن يتزود منها زادا يمكنه من الحكم على الأدباء المعاصرين الذين أخذوا بحظوظ مختلفة من تلك الآداب. وزاد مهم جدا ينبغي أن يتوفر له، وأقصد زاد النقد الأدبي، وهل يمكن لدارس أن يتحدّث عن شاعر معاصر وهو لا يعرف شيئا من نظرية الشعر في تصور النقاد المعاصرين من الغربيين، ولا عما كتبوه في اتجاهات النقد من نفسية وجمالية وطبيعية واجتماعية ولسانية وأسلوبية وغيرها من المناهج النقدية، وزاد آخر لا يقل أهمية وهو زاد المعرفة بتاريخ الآداب الغربية والعربية معرفة تقف بالباحث في وضوح على تطور الآداب ومظاهر تحولها[13]، وفضلا عن ظاهرة التأثير والتأثر فيما بينها وغيرها من الأمور التي تتعلق بتاريخ الآداب والتي تكون من البديهيات لدى الباحث في مجال الأدب.

وعودا على بدءٍ فالتجربة في مجال اختيار موضوع البحث تؤكد أن على الباحث أن يعمد إلى اختيار المواضيع التي تتناسب تناسبا حقيقيا مع تخصصه أولا، ثم ميولاته تاليا، إلا أن الدارسين يرون أن ذلك غير كافٍ ما لم يتسلّح الباحث بالخلفية المعرفية الواسعة والتي تأتي -كما أسلفنا الذكر- من القراءة الكثيرة والمطالعة الواسعة في مجال تخصصه، إضافة إلى القدرة على التصدي الجاد لموضوع بحثه، لأن «اختيار الموضوع من قبل الطالب مهمة شاقة ولاشك، وهي تتطلب منه اطلاعا مسبقا ولو محدودا على مختلف جوانبه، تمكنه من وضع تصور أو مخطط تفصيلي أولي له، إضافة إلى ذكر الدوافع لاختيار هذا الموضوع أو أسباب هذا الاختيار والمصادر والمراجع المعتمدة، والنتائج المتوقعة أو المتوخاة من البحث، وهذا الاطلاع المسبق إضافة إلى الاطلاع على نماذج من هيكلة الرسائل المنجزة لا غنى عنه، لأنه يشكل الانطلاقة الأولى الجادة في البحث»[14].

وقضية مهمة جدا على الباحث أن يتنبّه إليها أثناء عملية اختياره لموضوع بحثه ونقصد وفرة المصادر والمراجع وتنوعها، لأن ندرتها قد تقف أمامه حجر عثرة في الاستمرار في بحثه، وهنا عليه بالعودة إلى مشرفه واستشارته لمعرفة المشرف السابقة وتمرّسه في هذا المجال.

إضافة إلى استشارة المشرف في قضايا أخرى، فليس كل موضوع اقترحه الباحث يكون صالحا للبحث فيه، فمن الممكن أن يكون الموضوع المقترح قد استهلك بحثا، وقد يكون صالحا للبحث فيه، فمن الممكن أن يكون الموضوع المقترح قد استهلك بحثا، وقد يكون هذا الموضوع غير صالح للبحث البتة لعدم أهميته مثلا، وقد يكون موضوعا عاما واسعا مما يرهق الباحث نفسيا وجهدا وزمنيا، وفي الأخير يجد نفسه أنه لم يستطع أن يلمّ بجميع جزئياته، بل سوف يستغرق زمنا طويلا للاطلاع على المادة المعرفية (المصادر والمراجع) حول موضوعه قد تتجاوز المدة المسموح بها لإنهاء البحث.

ومن الباحثين من يعمد إلى اختار الموضوعات الفضفاضة، معتقدا سهولتها لكثرة المصادر والمراجع حولها سرعان ما يتيه في هذه الكثرة والوفرة، وكذا في كثرة الآراء والأفكار ووجهات النظر، وبالتالي فسوف لن تتوفر لهم المقدرة العلمية في التفضيل بينهما، ومثال ذلك أن يختار موضوعا كهذا: "تيمات الرواية العربية مشرقا ومغربا دراسة مقارنة"، فهذا الموضوع يمتد على فترة زمنية تتجاوز القرن من الزمن، وعلى عدد كبير جدا من المتون الروائية مشرقا ومغربا قد يتجاوز الألف، وعلى مساحة جغرافية واسعة جدا، وموضوع كهذا لا يستطيع صاحبه أن يطّلع على عُشْرِ المتون الروائية التي أنتجها العرب.

وبالتالي فالبحث جزئية محدودة لا يتطلب إلا الاقتصار على كمية محدودة من المصادر والمراجع، وتكون أقل بكثير مما تتطلبه المواضيع العامة الواسعة، وبالتأكيد سوف يُسعف الوقت الباحث في المواضيع المحددة والمضبوطة، وذلك في التعمق في كل ما أُلّف حول الموضوع المختار، وربما ظهرت للباحث أشياء جديدة قد تكون غابت عن غيره من الباحثين.

وهنا تجدر الإشارة إلى دور المشرف الكبير في توجيه الطالب لاختيار الموضوع، لأن المشرف له من الخبرة والدراية والمعرفة ما يؤهله ويمكنه من معرفة المواضيع المهمة وكذا المواضيع الجديدة والمواضيع

المستهلكة بحثا، كما أنّ له القدرة على معرفة مؤهلات طلبته العلمية، وقدراتهم البحثية، وهنا على المشرف مع الباحث أن يركزا على أمور منها:

-أهمية الموضوع العلمية.

- ثم هل الموضوع المختار صالح للبحث فيه؟

- وأخيرا قدرات الطالب العلمية وظروفه الشخصية؛ كحاجة الباحث إلى إتقان اللغات الأجنبية، وإنجاز بحثه في مدة زمنية محددة، أو السفر إلى الخارج إجراء بعض الأبحاث والدراسات أو الحصول على بعض المصادر[15].

ونجد بعض الدارسين المهتمين بهذا المجال يرون أن الطالب الباحث إذ وجد في نفسه ميلا لدراسة أي موضوع وجب عليه وقبل تسجيل الموضوع لدى الهيئات العلمية التي ينتسب لها، أن يطرح على نفسه طائفة من الأسئلة إذا أجاب عنها بالإيجاب فما عليه إلا الانطلاق في عملية البحث، وهذه الأسئلة هي:

1/ هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل فيه من جهد؟

2/ أمن الممكن كتابة رسالة حول هذا الموضوع؟

3/ أفي طاقتي أنا أن أقوم بهذا العمل؟

4/ هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه؟

ولنعد إلى هذه الأسئلة بشيء من الإيضاح:

فعلى الباحث اختيار الموضوعات النافعة، فليست المسألة أن يكتب الطالب رسالة أو ينال درجة علمية، بل أن يُخرج موضوعا مفيدا يكون تذكارا جميلا لحياة الدراسة وأثرا خالدا، أو اختيار موضوع ينفع به غيره أو مجتمعه علميا بعد تمامه، وقد يكون الموضوع مفيدا ولكن المادة الموجودة فيه غير متوافرة ولا تكفي لتكوين رسالة علمية، والنظر إلى حالة الطالب وظروفه الخاصة، ومن ذلك اللغات التي يتقنها والوقت المخصص لهذا العمل وقدرات الطالب المادية.

أما السؤال الأخير فيتصل بالعاطفة التي لا يمكن أن نتجاهلها ولا يمكن لأي باحث التجرد منها، كأن يختار الطالب موضوعا يتنافى مع عقيدته أو أخلاقه، كأن يبحث شيعي في أدب السنة مثلا، أو شيوعي في الدين[16].

ويفترض في اختيار الموضوع أن يكون شديد الصلة بتخصص الطالب أثناء دراسته بالجامعة، كما يستحسن أن يُكلّف الطالب بتدبيج بعض البحوث في موضوعات تخصصه قبل أن يشرع في إنجاز البحث، لأن هذه الأعمال وبمساعدة المشرف ستفتح للطالب المجال على التدرب على موضوع بحثه، وهذا ما هو معمول به في مختلف الجامعات، فأثناء فترة التدريس خاصة فيما بعد التدرج يكلف طلبة الدكتوراه بإعداد بحوث في مواد تخصصهم، ثم هم مطالبون بنشر مقال للمناقشة، وكذا المشاركة في المتلقيات ودائما في مجال تخصصهم؛ بحيث تكون هذه الأعمال المنجزة طريقة من طرق التدريب على عملية البحث فيما بعد من جهة والاطلاع على بعض المصادر والمراجع من جهة مقابلة، واستكشاف أشياء قد تساعده على إعادة هيكلة البحث أو إضافة أشياء جديدة له.

5-مفهوم الإشكالية وكيفية ضبطها:

من أهم مقومات البحث الأكاديمي الناجح ضبط الإشكالية وتحديدها تحديدا دقيقا «ذلك أن البحث العلمي هو في حدّ ذاته طلبٌ لمجهول، غير متحدد في ذاته، وإن كنا نعلم بعض معالمه أو مظاهره أو آثاره، لكن حقيقته لا تعلم باليقين ولا بالظن الراجح، وإلا لما كانت هناك حاجة إلى بحثه، إن تسجيلك لموضوع لا ينبني على هذا الأساس ابتداءً يجعلك حتما تعمل خارج إطار (البحث العلمي)، ألم تر أنه يهدف إلى حل مشكلة معرفية؟ فكيف يكون البحث لا يبحث عن شيء؟»[17]، ومعنى ذلك أن تصاغ مشكلة البحث صياغة واضحة، بحيث تعبر عما يدور في خلد الباحث، وتظهر أو تبين الأمر أو القضية التي يرغب الباحث في إيجاد حل لها، ولا تتم صياغة المشكلة بوضوح إلا إذا استطاع تحديد العلاقة بين عاملين متغيرين أو أكثر، إثر ذلك تصاغ الإشكالية عن طريق وضع أسئلة تحتاج إجابة محددة ودقيقة وعلمية بعيدا عن الذاتية.

وقد حدّد متخصصو هذا المجال المعرفي خطوات المنهج العلمي في البحث أولا بتحديد المشكلة تحديدا دقيقا، إثر ذلك يقوم الباحث بجمع المعلومات عن هذه المشكلة، وبعد ذلك يضع الفروض المقترحة لحل تلك المشكلة مع اختبار صحة تلك الفروض ليصل إلى النتائج التي يمكن تعميمها.

فتحديد المشكلة يعتبر أهم خطوة على الإطلاق قبل بداية البحث، فعليها تقوم البحوث العلمية، وكثيرا ما تتشابك المشاكل وتتعقد، غير أنه بالتشخيص السليم يمكن التوصل إلى المشكلة الحقيقية وتحديدها، فارتفاع درجة حرارة شخص ما هي مشكلة تعبر عن حالة مرضية لها أسباب عدة، ومن ثم يتعين بحث أسبابها بدقة ووصف العلاج الناجح، وهكذا تسير البحوث، فعند الإحساس بظاهرة غير طبيعية (فكرية/ اجتماعية/ تربوية/ اقتصادية/ طبية/ زراعية/ سياسية/ صناعية) تسبب خللا، نحدّد المشكلة ونعرف أسبابها الحقيقية، ونقترح العلاج، ثم نعالج الأسباب مع المتابعة، وهنا يجب الإشارة أو التنويه إلى أنّ البحث العلمي لا يتمّ بطريقة الظن والتخمين، بل بالحقائق والمعلومات المتوفرة، ويحتاج تحديد المشكلة إلى خبرة ودراية من الباحث، وهي أمور تكتسب بالممارسة العلمية والعملية للبحوث، ومن القراءات المتعمقة قد يتّضح لنا أن المشكلة محل البحث يمكن تجزئتها إلى عدة أجزاء ومواضيع بحث، وكل موضوع يبحثه باحث، أو مجموعة من الباحثين حسب قدراتهم واستعداداتهم[18].

وكما هو معروف فإن المشكلة هي أساس البحث العلمي، بمعنى أن البحث الذي يبدأ من فراغ سوف ينتهي حتما إلى لا شيء، لذلك فإن ما يميز البحوث العلمية في عصرنا هو احتواءها على مشكلة أو معالجتها لمشكلة محددة وهامة، وفي حاجة ماسة إلى من يتصدى لها بالدراسة والتحليل من جوانبها المتعددة، حتى نستطيع أن نوجد لها الحلول المناسبة، ومن هنا فلا بد أن يبدأ البحث بإحساس من الباحث بوجود مشكلة معينة في إطار مجالات تخصصه، وفي إطار التصميم العام للمشكلة التي يبدأ الباحث في الإحساس بها وإدراكها يمكن أن يتطرق إلى تحديد المشكلة تحديدا دقيقا وتفصيليا، وهذا سيوفر عليه الجهد والوقت اللذان قد يبذلهما فيما لو لم يلجأ إلى التعرف على المشكلة التي يخضعها للأسلوب العلمي الدقيق من حيث المعالجة، وعلى ما يتعلق بها من حيث نشأتها وحدودها، ونوع البيانات الضرورية والطرق البديلة لحلها[19].

ولا نجانب الصواب إذا أكدنا على أن إدراك المشكلة ومعرفتها و«تحديد أبعادها يرجع إلى مدى عمق الباحث في فهم نهج هذه المشكلة، وسعة اطلاعه العلمي، ومدى خبرته العلمية، ومدى إحاطته بما يكون قد سبق إجراؤه من بحوث مماثلة في الماضي على نفس المشكلة أو على مشكلة مشابهة مما يساعده على أن يستفيد من خبرات هذه التجارب في تحاشي أخطائها، أو في استكمال نقائصها وفي إتمام عناصرها عند إجراء بحثه»[20]، وللوهلة الأولى قد تبدو هذه الخطوات للباحث في بداية البحث سهلة ويسيرة أو بديهية، إلا أنها في الواقع العلمي كثيرا ما نجد الموقف قد تغير جذريا أو جزئيا وتدخلت الكثير من المشكلات الأخرى بحيث يصعب فصلها عن الإشكال الذي كنا نتصوره نظرا لتدخل عناصر بحثية أخرى.

وإذا أردنا أن نعرف كيف نضع إشكالا لأي موضوع فإن ذلك يتأتى ربما من أن «الدارس حينما يدرس مجالا علميا ثم تحول بينه وبين الوصول إلى بعض الحقائق فيه عوائق معرفية معنية يكون ذلك هو بداية (الإشكال)، فإذا حاول الوصول إلى تلك الحقائق بواسطة طرق أخرى غير التي استعملها في البداية كأن يعدد المصادر والمراجع التي يطالعها في موضوعه، ثم يسأل الأساتذة والباحثين المتخصصين بالبحث في نفس المجال، لكنه مع ذلك يصطدم بنفس العوائق دائما، فإنه يتركب فيها حينئذ (الإشكال العلمي) الذي يمكن أن يعتبر أساس بحث حقيقي»[21].

وتأسيسا على ما سبق فإن قيمة البحث وأهميته إنما تتحدد بقيمة وأهمية إشكاله أساسا، فما موقعه من المجال الذي ينتمي إليه؟ وما حجم وأهمية العوائق المعرفية التي يتكون منها؟ فإذا كان حل كل ذلك خطوة ضرورية تتوقف عليها خطوات علمية مهمة، وتنبني عليها حلول إشكالات أخرى أساسية، كان البحث المختار أو المقترح على رأس الأولويات وفي مقدمة الضروريات منهجيا ومعرفيا، وفي المقابل تنقص قيمته بنقصان أهمية إشكاله إلى درجة الانعدام حينما يصير الإشكال وهميا لا حقيقيا، فالحرص على قيمة البحث إنما يكون بالحرص على أهمية إشكاله العلمي[22]، لذلك نجد المشتغلون بالبحث العلمي يؤكدون على أن اختيار مشكلة البحث وتحديدها ربما يكون أصعب من إيجاد حلول لها[23].

6. خاتمة:

وختاما فإن الاختيار الارتجالي لموضوع بحث قد يؤدي إلى عدم التوفيق في وضع الإشكال الذي سوف يعالجه هذا الموضوع، وبالتالي يجد الباحث نفسه يبذل في جهد كي يصل إلى لاشيء، لأن عمله حتما سيكون تجميعا ورصفا لمعلومات غيره ليعيد تركيبها وترتيبها من جديد، ومن أمثلة ذلك أن يختار الباحث مثل هذه المواضيع في الأدب والنقد (القصيدة الحرة)، (النقد المعاصر) (السرديات العربية)، فالسؤال الأول الذي يواجهنا هنا هو ما الأصل الإشكالي الذي تحويه هذه المواضيع؟ وبشكل آخر هل دراسة هذه المواضيع ستحل مشكلة معرفية ما؟

فموضوع القصيدة الحرة مثلا أو موضوع السرديات العربية لا يحتوي على إشكالية، أو لا يوجد به إشكال، وماذا سيعالج فيه الباحث؟ هل سوف يعالج خصائص القصيدة الحرة؟ هل سوف يعالج تمظهراتها وأسباب ذلك في الشعر العربي مثلا؟ فالعنوان خال من أي إشكال مطلقا.

الهوامش:

1- محمد الصاوي محمد مبارك، البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1992، ص.ز.
2- ينظر: المرجع نفسه، ص.ز.
3- مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1998، ط.2، ص.12.
4- أحمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة دراسة منهجية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1992، ط.2، ص.13.
5- فريد أنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص.24.
6- ينظر: المرجع نفسه، ص.25.
7- ينظر: مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ص.18.
8- حاجي خليفة، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص.48.
9- شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، القاهرة، 1992، ط.7، ص.18.
10- شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، ص.19.
11- شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، ص.ص.21-22.
12- ينظر: المرجع نفسه، ص.25.
13- شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، ص.25.
14- مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، 1998، ط.2، ص.37.
15- ينظر: مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ص.39.
16- ينظر: أحمد شلبي، كيف تكتب بحثا او رسالة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1992، الصفحات من 36 إلى 41.
17- فريد أنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص.26.
18- ينظر: محمد الصاوي محمد مبارك، البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1992، ص.ص.19-20.
19- ينظر: محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ط.3، ص.ص.22-23.
20- المرجع نفسه، ص.23.
21- فريد أنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص.26.
22- ينظر: المرجع نفسه، ص.28.
23- ينظر: أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، والمكتبة الوطنية بليبيا، ودار غريب للطباعة بالقاهرة، 1977، ط.3، ص.61.

المصادر والمراجع

1- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، والمكتبة الوطنية بليبيا، ودار غريب للطباعة بالقاهرة، 1977، ط.3.
2-أحمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة دراسة منهجية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1992، ط.2.
3-أحمد شلبي، كيف تكتب بحثا او رسالة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1992.
4-حاجي خليفة، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
5-شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، القاهرة، 1992، ط.7.
6-فريد أنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، المغرب، 1997.
7-محمد الصاوي محمد مبارك، البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1992.
8-محمد الصاوي محمد مبارك، البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1992.
9-محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ط.3.
10-مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، 1998، ط.2.

IHALAT Journal

Semi – annual international academic refereed journal

It is issued by the institute of letters and foreign languages at Maghnia University Centre, ALGERIA

It is concerned with publishing linguistic, literary, and critical studies in the four languages

(Arabic, English, French and Spanish)

EISSN : 2710-8643 **ISSN :** 2602-7585

لوحة الغلاف للفنان أحمد بودفس